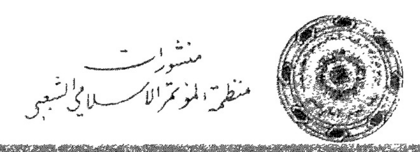
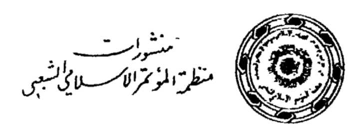


السلام والاسلام

العلامة محمد بهجة الاثري
الاستاذ عبد الله فاضل عباس
الدكتور محمد شريف احمد



السلام والإسلام

العلامة محمد بهجة الأثري
الاستاذ عبد الله فاضل عباس
الدكتور محمد شريف احمد

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ومن اتبعهم واهتدى بهديهم الى يوم الدين.

اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام، فحينا بالسلام.

لقد كانت الدعوة الى السلام وحقن الدماء، احدى اهم الاسس التي قامت عليها منظمتنا، منظمة المؤتمر الاسلامي الشعبي، حين تنادى علماء الامة الاسلامية ومفكروها مابين مشرق للشمس ومغيب بصرخة اسلامية مدوية عبرت عن مشاعر الامة الاسلامية الاليمة التي قاست من اهوال الحرب الايرانية العراقية المدمرة مُرّ المعاناة، اذ نزفت دماء غزيرة عزيزة ولم يتوقف نزيفها منذ سبع سنوات طوال، واهلكت شباباً كانوا عماد الامة وأملها، وأفنت مؤسسات حضارية في بلدين مسلمين جارين لهما موقعهما الاستراتيجي من قضايا الاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية في العالم عامة وعالم المسلمين خاصة.

وقد سعى العلماء بانفسهم من خلال منظمتهم يحدوهم الامل لتحقيق السلام بعد ان لمسوا بانفسهم حرص العراق البالغ على السلام ورأوا بام اعينهم قائد العراق المنصور كأنه واحد منهم في قوة رغبته في السلام وهو في موقع القدرة والغلبة والانتصار الدائم.

ولم يدر بخلد احد منهم ان حماقة نظام خميني تصل الى حد التنكر لشرع الله في وجوب تحقيق السلام وهو يدعي الاسلام، ولم يدر بخلد احد منهم أنه من الممكن ان يستهتر كل هذا الاستهتار برأي علماء المسلمين خاصة وبالرأي العام الاسلامي والدولي عامة فيبلغ حداً يسد فيه ابواب السلام كلها وفي كل مناسبة وحين.

ولكن الحقيقة المرة التي اذهلت كل ضمير حي هي ان نظام خميني تجاوز كل حدود العقل والمنطق والدين والعرف والانسانية، فكأن الخميني ورموز نظامه بكم عمي لايعقلون حينما رفضوا دعوة الاسلام واستهانوا بكل النداءات المخلصة لوقف الحرب.

ومن الحقائق الجلية الان عند كل ذي بصر وبصيرة ان قائد العراق المنصور بالله صدام حسين قد بذل كل جهد ممكن لتحقيق السلام، واتخذ وسائل وقنوات انسانية منها ماهو متعارف عليه اسلاميا ودوليا ومنها ماهو من ابداعاته الفكرية الانسانية النيرة، ومنها رسائله المباشرة الى حكام ايران ورسائله المباشرة الى الشعوب الايرانية، وحكمته الرائعة المتزنة في مخاطبة الايرانيين حكامهم وشعوبهم تجاه انفسهم، ومنها مبادرته الاسلامية الاصيلة في عرض السلام العادل والمشرف عليهم من موقع القوة والتمكن وفق مبادئه الخمسة المشهورة

التي يرتضيها كل عقل سليم وتقرها الشريعة الاسلامية مما دعى المجلس التنفيذي لمنظمتنا ان يطلق عليه بحق «رجل السلام».

ومن الحقائق الجلية الان ايضا ان نظام خميني هو نظام الدماء والحرب، وهو نظام الفتنة والشعوذة والدجل الذي اساء الى الاسلام عقيدة بتشويه مبادئه وقيمه وانسانيته، والى المسلمين بين بني الانسان حينما اظهرهم وكأنهم طلاب حرب ودمار وتخريب وفتنة.

لذلك وجدت منظمتنا من اهم الواجب عليها ان تجاهد لتأصيل الافكار التي تعيد الى المجتمعات الاسلامية صفاء الصورة المشرقة لديننا الحنيف، دين السلام والوئام والمحبة، ولتاريخ امة القرآن، ولفضح المنهج الخميني الفاسد المسيء الى الاسلام الساعي الى تشويه غاياته الانسانية النبيلة وقلب تاريخه المشرق.

وفي هذا الكتاب الموجز اخترنا ثلاث مقالات بحثت في موضوع «السلام والاسلام» درءاً لما يشيعه نظام خميني من فساد في الارض وآراء سقيمة تصور الاسلام على انه دين حرب ودماء في استناده الى نظرة تجزيئية مبتورة لبعض الروايات السقيمة غير الموثوقة، لتبرير عدوانه على العراق خاصة والمسلمين عامة واشاعة الفتنة والبغضاء والحقد والفرقة والتمزق في المجتمعات الاسلامية.

ولا اريد في هذا التقديم الوجيز ان اطري هذه الابحاث او ان ابين منزلة كتابها في ميدان الفكر الاسلامي، فان القارىء سيقف بنفسه بعد قراءتها، على مدى عمق كتابها واصالتهم الفكرية الاسلامية.

وان معيار الاصالة والصدق هو كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، والثابت من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين».

الدكتور بشار عواد معروف

الامين العام



اَلسَّلَامُ وَالإِسْلَامُ

محمد بهجة الأثري

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا أيها الذين آمنوا أُدخلوا في السلم كافةً، ولاتتبعوا خطوات الشيطان، إنه لكم عدوٌ مبين. فإنْ زَلَلْتم من بعدما جاءتكم البينات، فاعلموا أنَّ الله عزيز حكيم».

«صدق الله العظيم»

والحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الملك القدوس السلام، والصلاة والسلام الأتمان على خاتم أنبيائه ورسله، حبيبه ومصطفاه، الهادي البشير النذير، المبعوث بالرحمة للعالمين: محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين والطيبات الطاهرات، وصحابته الأبرار الأخيار: خير أمة أخرجت للناس، آمنوا بالله، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر.

أما بعد

فان الأمم تتخبط اليوم في أثباج لجج هائجة من الضلالات والفتن والمحن والاقتتال الدائم، لا أعرف في تاريخ البشر سابقة لمثلها تحاكيها في الانتشار، وتدانيها في الضراء والسوء..

استولت على البشر أكثر البشر، من غياب الهداة، جهالة جهلاء، فزاغت منهم الطباع، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم.

عبدوا المادة، واستحبوا العمى على الهدى. غرتهم الشهوات، وركبوا لإرضائها الموبقات، واجترحوا السيئات، وهي تتفاقم في نفوسهم، وتعلو وتغلو، وتتزايد استشراء وانتشارا، فتزيدهم اقتتالا عليها وعلى المنافع لا أشد قسوة منه وضراوة، حتى لكأنهم من نار الشر قد خلقوا كما خلق ابليس،

ولهذه الجهالة الطاغية النكراء قد يسروا، و«إن الله لايغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم».

وحين تزيغ الطباع، وتفسد الضمائر، وتجمح الشهوات، وتجد النفوس المنحرفة من القوة والقدرة ما يبلغها مطامعها، وليس للمطامع حدود تقف عندها... يقبل بها البغي بكل شراشره على ماليس لها به حق مما يملك الناس، فتظلم، وتفسد في الأرض بعد اصلاح، ولايَزَعُها عن بغيها وظلمها وافسادها الا ظلم مثل ظلمها أو أشد... وهكذا تتصل حلقات البغي، ويتسلسل الشر، ويشقى البشر!

وفي أطواء كتب التاريخ من أنباء امتحانه بالشر مايروع ويهول... ولكنه عند قياسه كله ـ بمجموع أحداثه النكر ـ الى جزء مما يطالعنا في الزمان الحاضر من هذا الاضطراب العالمي والاحتراب الدولي المتصل: يخبط عالياً بسافل، ويهوي بالحياة الى هاوية لاقرار لها من الشقاء.. يبدو بجنبه شيئا يسيرا، وكأن الأحداث الكبار في تلك الدهور الغابرة كانت نزهاً ولعب أطفال!

وما عسى أن أذكر من أهوال الحربين العالميتين، شُبَّتا في هذا «القرن» فاصطلى البشر كله بويلاتها، وشقي شقاء أهل الجحيم بنار الجحيم، ومايزال من ذيولها في ضر مقيم!

فأما الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م)، فقد أهلكت من أمم الأرض نحواً من عشرة ملايين نسمة... أبرياء ساقتهم السياسات الغاشمة الى ميادين الاقتتال كارهين كما يسوق الجازرون النعم الغوافل الى المجازر فتذبح!

وأما الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ـ لاجعل الله لها ثالثة ـ فقد أربت على سابقتها بويلاتها ودمارها.. وقد بلغ

صرعاها البائسون، من المتقاتلين ومن المدنيين، زهاء ثمانين مليونا، بَلْهَ ما أصاب الحرث والزرع والضرع والعمران من الدمار.

لقد استبيح في هذه الحرب، من أجل تحقيق النصر، محو مدن آمنة وادعة غير مقاتلة بكامل ناسها وحيوانها وعمرانها في لحظات، جاءها بأس السلاح النووي بياتاً في هدأة أمنها من أجواز السماء، فجعلها حصيداً كأن لم تغن بالأمس!

ثم تركت هذه الحرب بعدها، كما تركت الحرب العالمية الأولى - من أدخنة البغي ونيرانه المتسعرة ماينذر بقيام حرب عالمية نووية لاتبقى على بسيط الارض داراً ولاديارا.

ان كل طرف من أطراف النزاع والصراع، مسعاته الدائبة أن يمتلك مصادر الثروة في أصقاع الأرض، يستقل بها وحده، يسلبها عنوة، ظلماً وبغياً، انسياقاً بدوافع (مذهب المنفعة) الذي صار دين هذه الحضارة المادية وإلهها الذي تعبده!

فلجأ كل طرف الى تكثير عدته، وتنويع عتاده، وافتن في ابتكار آلات التدمير والافناء وتطويرها عاماً بعد عام، واتخذ لنفسه الموقف الذي لايصلح في مواجهة الخصم الا باللجوء الى استعمال القوة..

استقر هذا الفكر المريض في جملة عقول القادة السياسيين والعسكريين في الدُّوَل ذوات السلطان الطاغي في الأرض، وأصبحت نازعتهم الى الحرب محور السياسة الدولية، ومنطلقاً الى حيث يبغون من أصقاع الدنيا احتلالاً واغتصاباً مكشوفاً حيناً... ومقنعاً حيناً آخَر يوطدون تحت ستاره مواقع لهم، يكون لهم فيها مستقر ومتاع... يتخذون كل وسيلة تبلغهم هذه الغاية، ولايبالون بالأقوام في أي واد يهلكون... يثيرون

قوماً على قوم، ويضربون مدبراً بمقبل، ويضعفون الجميع، ليستقيم لسلطانهم الأمر.

وهذا هو البغي الذي يجترحون سيئاته ويقترفون آثامه، ويمضون به الى غير نهاية حتى يتم لهم مايبغون من آراب. وأي ضراء أشد تنكيلاً مما أحدثه هؤلاء القاسطون ويحدثونه في أوطان الاسلام..؟

في الأرض المقدسة... أرض أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله النبي العربي الأمين (فلسطين).

وفي وطن الجمال والمباهج والنعيم (لبنان).

وفي ديار الإيمان والفطر الصافية (ديار الأفغان).

وفي مأرز العروبة والإسلام، وموئل العلم والأدب والحضارة (العراق).

وفي غيرها هنا وهناك من ديار العروبة والاسلام خاصة، تقام الحروب على قدم وساق، وتغتصب أوطان، وتسفك دماء، وتنتهك حرمات... وشعب عربي مسلم بكامله تغتصب أرضه، ويقتل، ويشرد، ويلاحق وهو في ديار الغربة في المخيمات... تنزل به الضربات الماحقة ولاءاً... يحاصر فيها، ويقطع عنه الطعام والشراب، ليهلك أطفاله الرضع، وشيوخه الركع، والنسوة القوارير جوعاً وعطشا... يجترح هذا كله شذاذ من الآفاق، ويشاركهم فيه مسوخ مسخرون باعوا أنفسهم للشيطان، ويزعمون أنهم عرب ومسلمون، وتمدهم دولة ترفع شعار الاسلام، ودول تدعي نشر الحضارة وتزعم الحفاظ على حقوق الانسان، وتكيد للانسان وتنشر الدمار بأيديها وأيدي حثالات مكنت لهم في الأرض المقدسة (فلسطين) لتكون قاعدة لها تنطلق منها الى العالم العربي اليقظ

والغنية أرضه بمصادر الثروة، لتقتل يقظته في مهدها، فلا تقوم له قائمة، ولتنهب ثروته ما امتدت بها الحياة.

ومثل هذا يقال فيما صنعوا ويصنعون في (لبنان)... وقد كان أهله يتعايشون في بحبوحة من النعيم تعايشاً سلمياً، وادعاً وآمناً، فأحلوا بينهم الاحتراب حتى لامطمع لهم في سلام، وأحالوا جنتهم جحيماً، وهي تقول منذ ثلاثة عشر عاماً: هل من مزيد؟

وهكذا الخطب المهول الذي أنزلوه في ديار الأفغان المؤمنين، وتسعر ضرامُهُ حتى أحرق الأخضر واليابس، ومازال في ضراء منه.

وماعسى أن أذكر من مثل هذه المآسي وأشد في الحرب التي فرضتها قوى التسلط والاستعلاء في الأرض على (العراق) الوطن العربي المسلم وطن العروبة والاسلام والسلام، وأحد ينابيع الخير في العالم... حين رأته وهو يتوثب الى الذرا ويتنامى قوّة واقتداراً، فساءتها نهضته وشموخه، واعتزمت إضعافه وإذلاله، فألفت الحلف المثلث اللعنات، أو حلف الشياطين الثلاثة، لتذهب بريحه، وكانت نكايتها بالغة حين جعلت ولاية أوزار هذه الحرب الباغية الآثمة الى ناس من الغلاة الجاهلين يدعون امامة (الاسلام) دين السلام،

ويتطالون الى فرض وصايتهم على المسلمين، فذهبوا في عرام من الطيش والحقد ينفذون لها هذا المخطط الرهيب لقتل الاسلام والسلام معاً باسم الاسلام! ويخضبون بقاع الاسلام بدماء المسلمين، وتأخذهم العزة بالإثم اذ يدعونهم الى السلم، فلا يزدادون الا عتواً وطغياناً، ويسمون أئمة المسلمين

الداعين الى وقف القتال والدخول في السلم «فسقة وشياطين!».

هكذا استشرت نازعة البغي عند الأقوام في غير حق، وأنكؤها هذا الذي يقترف اليوم من إثمِهِ المبين تحت شعار (تصدير الاسلام)!

ولكن الى من؟ الى أهل الاسلام، وناشري شرعه وسلامه في العالمين!

يالله لدين الله يزيف هذا التزييف الخطير، ويبرقع وجهه السمح الجميل بالدم، وما تألق بشره بغير السماحة وابتسامات السلام، ويستخف به هذا الاستخفاف، ويزرى به هذه الزراية الفاحشة... يهتز لها عرش الرحمن!

ان شرع الله هو أقوى ما يكون بنفسه، فلا يحتاج الى دفاع عنه... ولكنه ـ وقد بلغ تزييفه هذا المبلغ القبيح الشنيع ـ تبرز فريضة العمل على وضع حقيقته في نصابها التام، وإشعار أمم الأرض بما يدعوها اليه من التآخي والتواد والتراحم والوئام والسلام، ليفقه من يفقه عن بينة.

وأنا أستفتحها بالذي هو خير... أستفتحها بما استفتحت به الحديث من قول الله تعالى عوداً على بدء، ربطاً للنتيجة بالمقدمات، فأقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

«ياأيها الذين آمنوا، أدخلوا في السلم كافةً، ولاتتبعوا خطوات الشيطان، انه لكم عدو مبين. فَإِنْ زللتم من بعدما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم».

صدق الله العظيم

والسلم في الآية الكريمة، هو السلام والمصالحة والموادعة الدائمة... والسلام هو الله جل وعلا نفسه «هو الله لا إله الا هو الملك القدوس السلام...» سمى به نفسه تعظيماً لشأنه، ودعوة للبشر أن يجعلوه هدفهم في حياتهم، ويسلكوا اليه سبله.

ومن ها هنا استعلن (السلام) شعاراً للاسلام عقيدةً وخلقاً وسلوكاً ونظاماً، فاذا هو والاسلام معنى واحد، وحقيقة واحدة لا انفصام بينهما. ولست أعرف في مذاهب الفكر عامة ما يُشْبِهُهما في هذا التمازج والتماسك والالتحام، كما يتجلى ذلك في جملة التشريع الاسلامي وآدابه وأخلاقياته حقاً وصدقاً، لازعماً، ولاخلاباً من القول يعلن كلاماً، ويخفي سِهاماً وكِلاماً!

فحيث يذكر (الاسلام) فثم معه (السلام): سلام الحرية والعزة والكرامة والشرف «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين».

وحيث يذكر (السلام)، يشخص (الاسلام) كله حاضراً وماثلاً في الذهن بجملة مقوماته ومشخصاته... بعقيدته وأخلاقه... بعباداته وأذكاره.. بمعاملاته وتشريعاته.

كلها قواعده التي ينهض عليها بناؤه، ومنها منطلقاته في التعامل مع الحياة، والسلوك مع البشر، كما تبدو تطبيقاته في أجمل صورة وأكمل كمال في أخلاق الرسول وفي سلوك خلفائه وصحابته وسير الهداة المَهْدِيّين بهذا الدين الالهي العظيم.

هذه الوشيجة الملتحمة بين المبدأ والغاية، وبين العقيدة والتطبيق ـ حالة فريدة، استقل بها الاسلام، وليس في شيء من توجهات الشرائع ـ سماويها ووضعيها، نازعة الى السلام، تنصب عليه هذا الانصباب، وتوليه هذا الاهتمام، وتصيره هو مطلبها الأسمى، ومطمحها الأوحد، مُحَصَّناً بالإيمان والعقيدة

والأخلاق... لم يرسل الكلام فيه عارياً من الروح ومن الأخلاق، وغير محصن بالإيمان المستقر في القلب. وأين من هذا كله، هذا السلام الذي ترسمه القوانين الوضعية، وتستبقيه سلاماً مكتوباً على الورق، وليس له في ميادين الحياة ظهور وحياة!

سلام الاسلام ليس لفظاً يرسل ليذهب مع الرياح، أو دعوى تستعلن عند أمر طارىء يستدعي حضوره، حتى اذا انتفت دواعيه عاد الخصام، وعاد التعادي بدوافع تضارب المصالح وشخوص (نازعة المنفعة الخاصة)، واذا حكاية السلام آل في صحراء التخيل يحسبه الظمآن ماءً، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا. كبعض هذه الدعوات اليه في بعض سوانح الأمل في اشتداد الأزمات عند الأقوام الذين يقيمون علائقهم بينهم على (مذهب المنفعة)، فلا تكاد تلتمع منه بارقة في الأفق حتى تختفي، ويعود التقاذف الى شنشنته عودة حليمة الى عادتها القديمة!

وأين هذا من سلام الإسلام؟

السلام الإسلامي ثمرة غراس الفضائل والشمائل والتقوى مما أصَّلَ الشرع وأثّل للحياة من عقيدة وأخلاق، وأشربته الأرواح لتصنع المجتمع العالمي المتزن المتوازن، مجتمع الإخاء والعدل والإحسان، الذي ترعى فيه الحرمات والحريات والذمم، ويحصر فيه السوء في أدق الحدود وأضيق المسالك.

ولما كانت النفس، كل نفس، أمارة بالسوء الا ما رحم ربي - انتصب الاسلام بجملة آدابه وأخلاقياته وتشريعاته، يروضها بها، ليغلّب فيها روح الخير، وينشىء من طبعها عليه القوّة التي توجهها الى تكوين المجتمع الفاضل الذي يريده الله تعالى لعباده.

لقد أعلنه (نفيرا عاما) على البغي والسوء، واستنفر كل جنود الخير، فعبأها في مواجهتها تعبئة نفسية وعقلية وأخلاقية وتشريعية، لا أسلم منها ولا أحكم، لأنها من وحي الله ومراشده، فوظفها مجتمعة لجهادها بالدعوة الى سبيل الله (وهو السلام) بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، كما استعلن هذا في آي القرآن وفي أخلاق النبي وصحابته الأبرار والسلف الصالحين المتقين، وظل أصلا راسخاً في نفوس المؤمنين، وسبيلا متبعاً من يخرج عنه فانما يخرج على الاسلام ويبوء بغضب من الله تعالى عليه.

سلام الإسلام

سلام مع الله تعالى بالاهتداء بنوره وبالكتاب المبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام.

قال الله تعالى:

«قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتَّبَعَ رضوانه سُبُلَ السلام، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذْنِهِ، ويَهْدِيهم الى صراط مستقيم».

ومن هذا التأصيل وينبوعه الصافي العذب، يتولد السلام مع النفس حين يبتغي المرء رضوان الله فيصفي ضميره من الدغل، ويتجه بنفسه الى صنائع المعروف وفعل الخيرات...

وفي أدب النبوة، وأَعظِمْ به من أدب وخلق عظيم:

«إصنع المعروف إلى من هو أهله، والى من ليس أهله. فان أصبت أهله فقد أصبت أهلَه، وإنْ لم تُصِبْ أهلَهُ فأنت أهلُه».

هذا سبيل من سبل السلام في الإسلام.

ويتولد منه السلام مع العقل حين يستنير العقل بنور الله، ويعي مراشد الوحي، فيتوخى الحق فلايحكم الا به، له أو عليه. وهذا سبيل ثان من سبل السلام.

ويكون السلام مع البيت. . . مع الأسرة: الأهل والزوج والبنين وذوي القربى والعشيرة، يعاطيهم المرء ما نشأه الاسلام عليه من أدب وتهذيب، فيعطيهم من صفاء نفسه وصفاء عقله الحب والحنان، ويمنحهم الرعاية والبر والإحسان، ويتعهدهم دواماً فيصل الرحم ويرعى الذمام.

وهذا سبيل ثالث من سُبُل السلام، وما أكثر شعبه في الإسلام!

ويكون السلام مع الجيرة، ومع أهل الحي. . . . يقيم المرء علائقه بهم بالتواصل والمودة الخالصة، يعين المكروب على تفريج همه، ويقضي حاجات المحتاجين بقدر استطاعته، وما الى هذا من قضايا الحياة.

وهذا سبيل رابع من سبل السلام.

ويكون السلام مع المجتمع الإنسانيّ كله بكل هذه الفضائل والفواضل والشمائل، فيوليه المرء اهتمامه البالغ بأموره وأمور ناسه كائناً ماكان الجنس واللون والفكر، فهم جميعاً أهله، فيسعى بذمتهم، ويعطيهم من نفسه وعقله، ومن قدرات فكره وعمله، كل مايستطيعه دواماً.

ياهمومي! تَأَخَّري. ما بأهلي من هموم بأنْ تُدافَعَ أمثَلْ
أهليَ الناس، اذ يكونون سلماً لايعادون مثل سلمي وأعدلْ
ان أهلي كل، وانيَ بعض أنا ثانٍ، وعَدُّ أهلي أولْ

إن ريحي، من ريحهم تتهادى وشراعي بـريحهم يترسـل
مادهاهم من صائل يتعادى انما سهمه اليَّ المعجـل
واذا اخضل عيشهم من نعيم مخصب الخير، طاب عيشي وأخضلْ
مَنْ يقدم حقوق أهليه يعقد طرفي سؤددٍ ومجدٍ مؤثـل
قد شكرت السحاب جاد نداه كل أرض، ولم يخص ويبخل
لا تطيب الحياة عنديَ، إذْ عيـ ش أناس جدبٌ، وعيشيَ دَغْفَلْ[1]
أبسط الأفق، لا تضيق مداه وَسَع الناسَ ماتقيم وترحَلْ[2]

وهذا سبيل خامس من سبل السلام.

ويمثل هذه النازعة الانسانية، التي غرسها الإسلام في وعي صاحب هذا الشعر الانساني، وفي قلبه وعقله، ففاض على لسناه روحاً من الروح، ويقيناً من الإيمان بالاسلام والسلام... يرتقي سلام الإسلام بمراحمه وصدقه وخيره سمتاً بعد سمت، ومن أفق الى أفق أعلى، فيعم البشر كله، والوجود كله.

وما كان ليكون هذا السمو الى السلام لولا ما عبأ الإسلام في مواجهة روح الشر من القوى النفسية والعقلية والأخلاقية والتشريعية..
عبأها في العبادات والأذكار
وعبأها في أصول العقيدة.
وعبأها في المثل الأخلاقية، وأنماط التشريعات.. ليكون بها قوام السلام الدائم: سلام الحرية والعزة والكرامة والشرف.

---

(١) عيش دَغْفَلٌ: واسع مُخصِب.
(٢) القصيدة لصاحب هذا الحديث

وما علينا من حساب الخارجين على حكم الإسلام، الذين يسمّون أنفسهم مسلمين، من شيء!

عبأها في كل هذه الجوانب، ليكون السلامُ إيماناً ينعقد عليه القلب، وعقيدة تستقر في الوجدان والعقل وتعتمل دواماً لتثمر...

عبأها في العبادات والأذكار، وألهج به ألسنة المؤمنين آناء الليل وأطراف النهار... في الصلوات، الفروض والسنن والنوافل:

«السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

وبعد انتهاء المصلين منها، فيقولون عن أيْمانهم وعن شمائلهم:
«السلام عليكم ورحمة الله».

وفي أدبار الفروض، في الفجر والظهيرة والعصر والمغرب والعشاء يهتفون في الأذكار:

«أستغفر الله العظيم الذي لا إلهٰ الا هو. اللهم أنت السلام، ومنك السلام، واليك السلام، تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام».

ورفعَهُ شعار المجتمع الإسلامي ما بين مشرق الشمس ومغربها، فأصبحت تحية المسلمين حين يلاقي بعضهم بعضاً:
«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وهو شعارهم حتى عند زيارة مَنْ وَدَّعُوا دنياهم، وسكنوا القبور:

«السلام عليكم أهلَ دارِ قومٍ مؤمنين».

وسمى الله الحياة الإخرة (دار السلام): «لهم دارُ السَّلام عندَ رَبِّهِمْ، وهو وَليُّهُمْ بِما كانوا يعملُونَ». .
«وتحيتهم يوم يلقونه سلام».

كله سلام، ولهج بالسلام، ومااكثر ترديد ألفاظ السلم والسلام والإسلام، في كتاب الله وفي أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام!

وعبأها فيها شرع للمسلمين من قوانين الأخلاق، ومنطلق هذه القوانين كلها من (الرحمة)، فجعلها رديفة (السلام) لايذكر السلام الإ مقروناً بذكر (الرحمة).

والرحمة صفة من صفات الله تعالى، جل وجلت أسماؤه وصفاته «كتَبَ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ».

وهو الرحمن الرحيم، وهما اسمان من أسمائه الحسنى كالسلام، وبهاتين الكلمتين الرديفتين الشفافتين الرفافتين، وهما تحملان روح الله ولطفه. . يستفتحون كل عمل يبدؤونه، فيقولون «بسم الله الرحمن الرحيم»، ويردفون السلام بالرحمة والبركات فيقولون حين يلقي بعضهم بعضاً: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» إشعاراً بقيامها جمعاء في أعماق النفس.

وما أكثر ما يتردد من ذكر الرحمة ومشتقات الرحمة في كتاب الله وفي أحاديث رسول الله! لتمتلىء بها قلوب المؤمنين.
«وما أَرْسَلْناك إلاّ رحمةً للعالمين».
«الراحمون يرحمهم الرحمن» «ارحموا من في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء».
وما فرغت صدور الأقوام من الرحمة الا غالبهم البغي وكانوا

وباءً على البشر.

وبالرحمة تخامر القلوب، يختفي هذا البغي، ويسود السلام، ويعود الناس - كما كانوا أمة واحدة. . . الأخوَّة فيها أخوَّة النازعة الواحدة، تحصن أخوة النسب الواحد في أصل الخلق والإيجاد من نفس واحدة. «يا أيّها الناسُ، اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخَلَقَ منها زَوْجَها، وبَثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا» «يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

والتقوى هي سياج الرحمة وسند السلام.

وما أكثر ما تردد ذكرها في آي الذكر الحكيم، وفي أحاديث رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم!

إنها القانون الإلهي يرد بها الله الناس الى اتخاذها مصدراً للتعامل في الحياة، وأصلاً يدخلونه في حسابهم ويصدرون عنه في كل الأحوال.

ينطوي تحت مفهومها في الفكر الاسلامي كل مفاهيم الأخلاق الإنسانية الرفيعة، وبتحكيمها في التعامل والأخذ والعطاء يستقيم مجتمع العدل والمرحمة والسلام، وتقوم جامعة الأخوة، ويختفي هذا المجتمع المحترب، يأكل قويه ضعيفه، والبشر منه في هرج ومرج واصطخاب: يتقاذفون بالهول بعد الهول، لاتأخذهم بناسم رحمة ورأفة، ليجني بعضهم من بعض مغانم بالظلم، وهم قادرون على توفيرها لأنفسهم باتباع

رضوان الله.

وجملة القول في (الإسلام) و(سلامه) و(مرحمته) أنه شرع يقوم به للبشر نظام سلام حقيقي، يستمر في الحياة ماشاء الله... ما استرشد البشر بنوره، والتقت الأجناس على هداه بالتقوى التقاء الإخاء والرحمة والإحسان.

انه نُقْلَةٌ فريدة في تاريخ البشر... نَقلَتِ البشر من طور التفرق والشقاق والتخلف الى طور التوحد والائتلاف الروحي والتقدم في مسالك الحياة كافة.

أشاع في حس البشر اليقظة، وحرك وجدانه نحو التكامل العام، وبسط جناحه عليه أمناً وسلاماً. وما انتكست الحياة به فتخبط في ردغات الشر الا يوم أدبر عن هذا الخير.

نُقْلَةٌ فريدة، حقق الله تعالى بها على يد أَمِينِهِ على وحيه، عليه الصلاة والسلام، معجزة خالدة... حققها خلال ثلاثة وعشرين عاماً من عمره السعيد.

وما ثلاثة وعشرون عاماً في حساب آماد هذا الزمان، حين يقاس اليها ما أنجز فيها وأقام من صرح هذا النظام العالمي؟

هذا النظام الشامخ العظيم.. هل أقامه هذا النبي الرسول العظيم عليه الصلاة والتسليم بالسيف كما يحلو لربائب العصبيات العنصرية المقيتة أن يهرفوا ويبهتوا، وهم يعرفون ويحرفون؟

فأي سيف هذا السيف الذي أنشأ عالماً جديداً، يعتمل في وجدانه حب الحق والعدل، وحب الخير وصنائع المعروف والإحسان؟

إن يكن واقعا ما يبهتون، فلنسمه معهم سيفا، وأكْرِمْ به من سيف حقق عالم الخير والمرحمة والسلام! ولكنه ليس السيف الحديد، يُكْرِه الناس أن يكونوا مؤمنين. . . فمتى صح في العقل الصحيح أن إدخال الإيمان الى القلوب يتم بالتقتيل والإكراه، وليس بالحجة والإقناع؟

إنه سيف الدعوة الى الله بكتاب الله، بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

هذا السيف هو سلاح الاسلام، الذي أقام به صرح السلام!

«لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي».

«أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين».

«من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا».

«فلذلك فَادْعُ. واستقِم كما أمرت. ولاتتبع أهواءهم. وقل: آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأُمرت لأعدل بينكم. الله ربنا وربكم. لنا أعمالنا ولكن أعمالكم. لاحُجَّةَ بيننا وبينكم، الله يجمَعُ بيننا، واليه المصير».

«قُل للذين أوتوا الكتاب والأميين: أأسلمتهم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإنْ تولوا فإنما عليك البلاغ».

صدق الله العظيم.

تلك آيات الله البينات في كتابه العزيز:

دعوة الى الله،

وتبليغ.

والسبيل الى تحقيق أهدافها، وحمل الناس على قبولها والإيمان

بها، هو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن والحجة والإقناع، تصل الى أعماق النفوس، فتبذر فيها بذور الايمان.

«أدْعُ الى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلْهم بالتي هي أحْسَنُ».

«ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن، الا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنّا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم، وإلهنا إلهكم واحد، ونحن له مسلمون».

صدق الله العظيم

ذلك هو الحق المبين....، وهذا هو السبيل الى اخراج هذه الدعوة العظمى من حيز الفكر الى حيز التنفيذ، لاسبيل غيره البتةَ.

ان دعوة الاسلام دعوة عالمية، ورسالة للناس كافةً، لالقوم دون قوم، ولا للعرب دون أجناس الأمم، وهي دعوة تحمل كل معاني الخير... دعوة حب واخاء وصفاء، وهي تستلزم الحسنى، لا الإكراه، وليست دعوة خاصة، دافعها (مذهب المنفعة)، وسبيلها الى الوصول اليها الاستعلاء بالسيف.

هذا مذهب المستعمرين، أعني المستعبدين للناس المستضعفين في الأرض، السالبين الناهبين مايملكونه من خير ومن كنوز، وما هو من مذهب الاسلام في شيء، وليس من طبيعته وغايته.

ولم يؤذن بالقتال في الاسلام للعدوان، فان العدوان محرم في شرع الله. ولكن أذن به لدفع العدوان وحماية النفس والعقيدة

وحرية العبادة واقامة الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غوائله . . وذلك حين تألبت عليه أحلاف الوثنية والشرك، لتذهب بريحه، وطفقت تقاتل المؤمنين، وتهجرهم من ديارهم بغير حق، وتصدهم عن سبيل الله، وهم يحملون للانسانية جمعاء ما يحملون من هذا الخير العظيم . . فلم يكن للمؤمنين بد من أن يتخذوا موقفاً دفاعياً يحفظ أرواحهم ويصون حقوق الانسان وحريته وكرامته، وليس من العقل أن يقفوا من هذا البغي الفاحش موقف الذل والاستكانة والاستسلام.

فأباح الله لهم الحرب دفاعيةً تنصر الحق، لاهجومية تفرض الإكراه، وحصرها في أضيق حدودها حتى تضع أوزارها فتحرم عند زوال أسبابها قطعا.

وفي هذا أنزل الذكر الحكيم، وهو يحدد مقاصد هذه الحرب الدفاعية والأغراض منها، ويقول:

«أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلِمُوا، وان الله على نَصْرِهم لقديرٌ. الذين أُخْرِجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا: رَبُّنا الله. ولولا دفعُ الله الناسَ بعضهم ببعض، لهُدمتْ صوامعُ وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً. ولينصرن الله من ينصره، إن الله لَقَوِيٌ عزيز. الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور».

ومن أجل هذه المصلحة العالية العظمى، وجب على المؤمنين أن يكونوا دائماً على استعداد بالغ لمواجهة العدوان يستدفعون البغاة الظالمين بمثل سلاحهم اضطراراً، لاتعمداً

للشر والعدوان، وركوباً لمتون البغي والإفساد في الأرض. وكان لزاماً أن يؤمروا بهذا الاستعداد «وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رِباط الخيل تُرْهِبون به عدُوّ الله وعدوكم».

فجعل الله هذا القانون لردع العدوان لا للعدوان، يمنع البغاة من اقتحام سبيله، وليحقق المسلمون المقصد الأسمى في دين الاسلام، وهو غرس الرحمة في القلوب وإقامة صرح السلام في العالمين.

«وجزاء سيئةٍ مثلها. فمن عفا وأصلح فأجره على الله»
«فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين»
«فان جنحوا للسَّلْم فاجْنَح لها وتوكَّلْ على الله»
«لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يُخرجوكم من دياركم أَنْ تَبَرَّوهم وتُقْسِطوا اليهم، إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون».
«وان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم، وأَلْقَوْا اليكم السّلم، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا».
«ولا تعتدوا إن الله لايحبّ المعتدين»
«وأقسطوا إن الله يحبّ المقسطين».

اللهم إنا نسألك أن تمنحَنا العافيةَ، ودوامَ العافية، والشُّكْرَ على العافية.

اللهم.. أنت السلام، ومنك السلام، واليك السلام..

اللهم... إن ناساً من خلقك، لك في خلقهم وتسليطهم

حكمةً بالغة، لهم في الاسلام ادعاء عريض: يقولونه بألسنتهم، ولاتؤمن به قلوبهم، وأفعالهم إذْ يناصبون بها السلام تكذب مايقولون ويدعون.

لقد أقاموها في ديار الاسلام على المسلمين، بل عليك - إذْ أنت جلّ جلالك (السلام) - حرباً ضروساً موصولة الأعوام بالأعوام. وكلما دُعُوا الى السلام، نفروا منه نفوراً، وعَمُوا وصَمُّوا، وازدادوا عتواً وطغياناً وظلماً مبيناً.

لقد أمرت المؤمنين أن يدخلوا في السلم كافةً، ونهيتهم أن يتبعوا خطوات الشيطان.. فلو كان هؤلاء الناس مؤمنين حقاً وصدقاً، لاستجابوا لأمرك وأطاعوا، وانتهوا عما نهيت عنه، ولم يَزِلُّوا من بعد ما جاءتهم البينات، ولم يُصِرّوا على ما يجترحون ويسفكون من دماء المسلمين!

اللهم.. إنا نَكِلُ عقوبتهم اليك، في دنياهم عاجلاً، وفي آخرتهم آجلاً، ونستعين بك على قمع بغيهم، وعلى دفع البلاء، ومحق الظالمين، ونسألك ياذا الطَّوْلِ والحَوْل والإحسان دوام إعزاز جندنا الميامين المرابطين المدافعين عن الأرض والعرض والدين، بالنصر المؤَزَّر المبين، ولاقوة الا بك.

التضامن الإسلامي والسلام العالمي
في معيار الفكر والواقع



بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه الظروف المعقدة وفي هذه المرحلة العصيبة من تاريخ المسلمين تتوجه انظار العالم، عبر وكالات انبائه، ووسائل اتصالاته، نحو الاحداث والتطورات التي تشهدها الارض العربية ـ الاسلامية فهذه الارض، في سهولها وهضابها، وبحارها وخلجانها، ومياهها الاقليمية، باتت هي المسارح العملية للانشطة الاستراتيجية للقوى الكبرى الطامعة لتحقيق مصالحها، بسبب غياب الوحدة العربية والتضامن الاسلامي.

ولانريد في هذه المقدمة ان نوجه اللوم لتلك القوى التي تبحث عن منافذ تضمن من خلالها تحقيق مصالحها، ولكننا ينبغي ان نوجه العتاب، والنقد الى مجتمعاتنا التي لم تدرك لحد الان مدى ضرورة التضامن الاسلامي الحقيقي للحفاظ على مصالح المسلمين وسلامة بلادهم، وللمساهمة في بناء الحضارة العالمية المعاصرة، وابعاد شبح الحروب والمآسي وصيانة السلام العالمي، الذي يكفل ضمان الرفاه والسعادة لشعوب الارض قاطبة.

وقبل محاولة توضيح فكرة التضامن الاسلامي في ضوء الفكر الاسلامي والواقع الدولي لابد من الاشارة هنا الى حقيقة مهمة هي:

كان الوطن العربي ولايزال الهدف الاساسي لمحاولات

الاستعمار والصهيونية التي تستهدف تمـزيقه عن طـريق اثارة الاضطرابات وبث الفرقة والحزازات الطائفية والعرقية والدينية بين ابنائه. وذلك لسببين رئيسين:

اولهما ـ ان العرب هم حملة رسالة الاسلام وان بلادهم هي مركز الاشعاع الروحي ومهد الاديان السماوية، وان عـزة الاسلام تقـوى وتتـرسـخ بعـزة العـرب ورسـوخ مكـانتهم الـدوليـة والحضارية، فالامة العربية هي اقوى حلقة في سلسلة الاسلام فاذا ماتمكن الاعداء من اضعاف هذه الحلقة او كسرها فان دور الشعـوب الاسـلاميـة الاخـرى سيصـاب بـوهن كبـير، اذ سيخسرون، بغياب دور العـرب مدافعـا صلبا عن الاسـلام ومبادئه. ان هذا لايعني غياب المدافعين والمجاهدين في سبيل الاسلام في الشعوب الاسلامية الاخرى فهم كثر والحمـد لله والاسلام خيمة كبيرة تسع كرة الارض، وتنطوي تحتها شعوب الامة الاسلامية كلها، ولكن الحقيقة القرآنيـة هي ان القرآن عربي وان الرعيل الاول الذي حمـل نور الاسـلام الى شعوب الارض هم عرب، اختارهم الله لحمل رسالة الايمان والعدل والتوحيد الى شعوب الامم كافة، وان الاسلام سيبقى عزيزا بأمة العرب متعاضدة مع الشعوب الاسلاميـة في سبيل حمـاية مبادىء الاسلام وصيانة العدل في العالم.

اما السبب الثاني فهو ان الله سبحانـه وتعالى حبـا الارض العربية ببركاته ففي سهولها وهضابها وجبالها تكمن طاقات مادية هائلة تسهم وبفاعلية واسعة في تحريك ماكنة الحياة المعاصرة.

ومن هنا يتبين السر في اصرار اجيال من ساسة الدول الكبرى على ترسيخ قواعد لها في هذه الارض الطيبة.. ولاعجب ان تكون دولة الصهاينة هي وريثة كل هذه الاهداف والمطامع.

فهل وعى المسلمون هذه الحقيقة؟

وان كانوا قد وعوها فما الذي عملوه وخططوا له لمنع الاعداء من السير حتى النهاية في طريق احلامهم؟

ليس من شك قطعا ان التضامن الاسلامي الحقيقي هو الوسيلة المثلى لتفويت الفرصة على الطامعين من مستعمرين وصهاينة ومن ثم العمل على استعادة دور المسلمين الحضاري في خدمة شعوبهم وخدمة البشرية وصيانة السلام العالمي.

واذ يكون هذا البحث يبحث عن الصيغة الاسلامية المثلى وعن الاطار العلمي لفكرتي التضامن والسلام فقد جرت محاولة تأصيل هاتين الفكرتين في معيار الفكر والواقع ثم فقد القي الضوء على موقفنا المبدئي منه وعلى النحو التالي:

اولا ـ التضامن الاسلامي في معيار الفكر

ان الفكر الاسلامي هو ذلك الذي يتطابق او ينسجم مع الاصول العامة للشريعة، فالمعيار الحقيقي الذي يوزن به الفكر، او الرأي في الاسلام هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ولايعني ذلك ان الاسلام لايعير للمعايير المنطقية اهميتها في الاستدلال والاستنتاج ذلك ان الشريعة اعتمدت العقل والمنطق والحكمة في اقرار الحق والعدل الاقوم . . .

وفي ضوء المنطق نجد ان القرآن الكريم اولى عنايته الحكيمة لمبدأ التضامن الاسلامي في المجتمع كبيرا كان ام صغيرا.

ولاهمية اقرار هذا المبدأ وترسيخه في مسار الدعوة الاسلامية نجد القرآن الكريم يعبر عنه ببيانه المعجز، وبدلالاته البلاغية ذات التأثير النفسي والعقلي.

ففي بعض الاحيان يبدأ القرآن الكريم بنقطة البدء بمعنى انه يلفت نظر المجتمع الى نشأته الاولى التي تؤكد الوحدة البشرية

ثم ينطلق من هذه الوحدة الى الكثرة المتشعبة عن الوحدة ليرمز الى اصرة التعاون البشري ورابطة النسب الانساني في الوجود. ويستدل على هذه الحقيقة بقوله تعالى :ـ

﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلقَ منها زوجَها وبثَّ منهما رجالاً كثيرا ونساءً واتَّقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا﴾ (النساء/ ١) فالواضح من هذه الاية الربانية، وماتنطوي عليه من التوجيه السماوي الحكيم ان على المجتمع المؤمن ان يتضامن في تقوى ربه التقوى هي ملكة الخشوع لله سبحانه، والسلوك المستقيم في المجتمع فما دام الناس يصلون الى نفس واحدة وماداموا مخلوقين لرب واحد فان الاحرى بهم ان يتضامنوا لسعادة هذه الكثرة ويتقوا ربهم الواحد.

وفي سورة العصر نجد مثالا رائعا لفضيلة التضامن بل تقرر هذه السورة ان الانسان بمعناه الكلي المستغرق لكل من هو انسان لفي خسر وضلال مادام يعيش في حدود ذاته، وفي اطار وهمه الخاص ومصلحته المادية اما الذين فكروا وامنوا، وعملوا ونظروا الى المجتمع، فعلقوا مصيرهم بمصيره وناضلوا في سبيل الحق الشامل وتواصوا بالصبر فهم الناس الذين يريدهم الاسلام وهم المجتمع الذي يتحقق فيه التضامن فتدبروا قراءة هذه السورة :ـ

﴿والعصر ان الانسان لفي خسر، الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

وبآية ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا﴾نختم استشهادنا بآيات القرآن الكريم.

اما في مجال السنة النبوية فان قراءة سريعة لسيرة الرسول

القيادية والسياسة والرسالية تعكس بوضوح اهمية التأكيد على ترسيخ قيم التضامن الاسلامي في المجتمع المؤمن.

فمن مظاهر اهميته في الاسلام ان ظاهرة التضامن هذه تبرز في العبادات ايضا ناهيك عن المعاملات. فقد يتصور المرء ان مجال العبادة هو ذاتي وان هدفها هو تزكية النفس، فهو مجال تتجلى فيه اهمية العزلة والغربة من حيث المظاهر ولكن الاسلام سن الجماعة في الصلاة وفرض الوقفة الجماعية على صعيد عرفة واوجب الجمع وسن سننا اجتماعية عديدة لها جانب عبادي وجانب اجتماعي.

واما اذا اردنا الحديث عن اهمية اقرار التضامن في الاخلاق والمعاملات فان هذا يتطلب الافاضة والتفصيل ونحن في وضع نبغي الأيجاز في اقرار المبادىء والافكار وحسبنا ان نشير الى الرواية المعروفة في السنة النبوية والتي مفادها، ان الرسول شبه المجتمع المتضامن والمجتمع غير المتضامن بقوم ركبوا سفينة حاول احدهم خرقها فان اخذوا على يديه وتضامنوا في منعه سلمت السفينة وسلم المجتمع، واما اذا اهملوا شأنه غرقت السفينة وغرقوا..... هذا هو التضامن الاسلامي في معيار الفكر..

ثانيا/ التضامن الاسلامي في معيار الواقع

لقد ادى هذا الفكر النير الذي جاء به الاسلام الى توحيد العرب المسلمين وشحذ هممهم وشحنها بالمبادىء النبيلة، فانطلقوا يحررون الارض والانسان، فنشروا نور الاسلام في اصقاع الارض واقاموا دولة الحرية والعدل والسلام فرفرفت راياتها على اكثر المعمور انذاك وبلغت عصرها الذهبي على عهد هارون الرشيد وعاصمته الخالدة بغداد ولم يكن كل ذلك ممكنا

لولا تلك الوحدة العظمى التي جمعتهم.

اما اذا تأملنا في واقع المسلمين اليوم وبحثنا في اثر التضامن الاسلامي فيه فاننا لانجد بريقا او بصيصا او اثرا ملموسا له بل نلاحظ صورة باهته ومظهرا كئيبا للتضامن الاسلامي في واقع دولنا ومجتمعاتنا.

ومما يضفي على الكآبة مسحة من الالم ان المسلمين الذين تعين عليهم بمقتضى دينهم، وشريعتهم، وسنة نبيهم، وتقاليد قادتهم الاوائل ان يتحلوا بقدر معين من الاخوة والتضامن، تتعمق المشاكل الداخلية بينهم، وتتوسع الهوة التي حفرها اعداؤهم لهم حتى لتجد قسما منهم في خصام بل في حروب طاحنة.

هذا هو الواقع . .

اما مواجهة هذا الواقع فلاتزال دون خطة مدروسة ودون معالجة مقبولة فالكل يعنيه شأنه والكل يهمه امره بل ان الانكى والامر من كل ذلك ان البعض من المسلمين ينظر الى هذه الصراعات المستمرة على انها فرصة سانحة ينبغي استثمارها لصالح اقتصاده او تجارته او علاقاته الدولية تحت ستار الحياد او تحت ستار احترام الاطراف المتصارعة.

لاندري كيف نقول للعالم اننا جميعا مسلمون ونحن نصطرع بيننا اصطراع الاعداء.

واذا اردنا مثالا واحدا حيا على ذلك فها هي الحرب التي تزرع الدمار والموت في صفوف المسلمين دون ان يتحركوا او تتحرك دولهم بما يعبر عن التضامن الحقيقي، انها الحرب العراقية الايرانية التي اكملت دورتها السابعة ولم تقم الدول الاسلامية بما أوجبه الله عليها من مقاتلة البغاة الذين يصرون

على استمرارها، ومن ثم تحقيق سلم بين اطرافها المشتجرة او معالجة لنزف الدم الاسلامي الذي يهدر دون ان يحرك في المسلمين مايدفعهم للعمل الجدي لايقافه.

والغريب في الامر، ان كثيرا من المسلمين يمتنعون حتى عن التصريح بالحق وعن الاشارة الى المعتدي والى الذي يرفض ايقاف القتال والقبول بالتحكيم لتحديد المعتدي والمصر على استمرار الحرب.

لقد اصبح الكثير في موقف لايسمحون لانفسهم فيه بتغيير المنكر لا في اليد ولافي اللسان ولاحتى في القلب ولايزال الكثير من هؤلاء الان يفسرون موقف العراق الداعي الى السلام وتسوية النزاع عن طريق المفاوضات على أنه موقف ضعف او موقف تكتيك، دون ان يتأملوا معنى استمرار الحرب الطاحنة بين دولتين مسلمتين جارتين باحدث الاسلحة الفتاكة لمدة بلغت سبع سنوات طوال.

ولايقصد في هذه الاحكام قطعا الطعن في مشاعر احد او التقليل من اهمية لجان الوساطة، والمساعي الحميدة لاقرار السلام، ولكن الواقع المؤلم حقا هو ان الحرب لاتزال قائمة ونزيف الدماء لايزال دفاقا ونيران المعارك لاتزال جائعة تلتهم الاجساد ولايزال المسلمون يفقدون خيرة ابنائهم فيها.

ومما يرافق اخطار هذه الحرب المشتجرة بين المسلمين امور لاتقل عمقا في خطورتها عن دمار البلاد والحضارات، وهلاك الانفس البريئة، ومن اهمها تلك المؤامرة التي تهدف الى شق المسلمين في عقيدتهم الى مجاميع عدة، والى زرع بذور الشك بين ابناء العالم الاسلامي غير العربي وبين الامة العربية ذات القيادة التاريخية للدعوة الاسلامية.

ومن مظاهر هذا الاتجاه المريض المرسوم في دوائر دهاة الصهاينة والمستعمرين وفي محافل الماسونية والبهائية والفرق الباطنية الضالة انه كلما تغنى عربي بذكر مفاخر امته القومية التي هي في حقيقتها مفاخر الاسلام، اثار الاعداء حوله زوبعة واحاطوه بعلامات استفهام، واتهموه بالعنصرية، اما اذا تغنى عنصر اخر بمفاخر موهومة فلا ضير في ذلك.

نحن لاننكر ان لكل شعب دوره في الحياة ومفاخره وتأريخه وامجاده التي يعتز بها ولايمكننا ايضا ان ننكر ان للشعب العربي دوره المتميز ولاسيما في مجال الدعوة الاسلامية. غير ان هذه الاشارة لاينبغي ان تفهم على انها تثير انتقاصا لغيرهم او تقليلا لأهمية الشعوب الاسلامية الاخرى. فاننا نحن العرب نحمل حبنا وتقديرنا من منطلق اخوتنا الاسلامية لكل شعب مسلم او جماعة مسلمة.

وهنا يجب التأكيد ان هذا البحث هو سرد للواقع الذي تجاوز حدود البحث الاكاديمي وتشخيص واقع التضامن الاسلامي او لتلمس الاسباب الحقيقية لظاهرة العزلة الاسلامية او لظاهرة عجز الدول الاسلامية ومؤسساتها الثقافية، والسياسية والفقهية عن معالجة مشاكلها او العمل على التقارب او التقريب فيما بينها، وقد يتصور احد ان مثل هذا الرأي يعكس تشاؤ ما غير محدود من الرؤ يا المستقبلية او من جدوى مثل هذه المؤتمرات.

الجواب هو اننا لانشك مطلقا في صدق مشاعر الايمان الاسلامية التي تختلج في صدور المسلمين وان مثل هذه المشاعر تضمن استمرار الصلة الروحية بين ابناء المسلمين ويضاف الى ذلك العوامل الروحية الاخرى التي تضطر المسلمين على الاجتماع في صعيد واحد هو «عرفة» وفي اتجاه واحد هو «القبلة»

وعلى كتاب واحد هو «القرآن الكريم».

اما الذي شق الصف الاسلامي واحدث هذه الهوة فهو عامل المصالح السياسية حينا، وعامل العنصرية المقيتة حينا، وعامل الشعوبية المعروفة حينا اخر.

ولابد ان يأتي يوم تنجلي فيه الحقيقة وينتصر فيه الحق ويسود الحب والوئام ويختفي الحقد والخصام.

ومادمنا نبحث في واقعنا الاسلامي مدركين ابعاده فاننا لابد ان نقرر حقيقة هي ان الاسلام هو احوج مايكون الى القوة لا الى الهدم والتدمير لحماية الحضارة البشرية والسلام العالمي.

واذا كان هنالك خطر حقيقي على السلام فانه يكمن في شرور الصهيونية ومطامعها التوسعية في الارض العربية. اما الدعوة الى هدم انظمة العالم ونشر الارهاب الفكري والدموي، وباسم الاسلام، فهي دعوة مفتراة على الدين الاسلامي الحنيف. فالاسلام دين السلام العالمي وهو دين الحضارة وهو دين لا اكره فيه.

ثالثا/ موقفنا من التضامن الاسلامي والسلام

عمل العراق، بكل اخلاص، على دعم التضامن الاسلامي، وصولا الى وحدة كلمة المسلمين، في مجابهة الاخطار والتحديات التي تهدد وجودهم، وتقلق امنهم. وايمانا منه بان هذا التضامن يعد اساسا من الاسس التي تدعم السلام والامن في العالم وقد ظهر مصداق ذلك في ثلاثة اتجاهات رئيسة، كرس العراق سياسته لتحقيقها هي:

الاول ـ الدعم الكامل غير المحدود لقضايا العالم الاسلامي،

مهما بلغت التضحيات، وعلى جميع الاصعدة، والمشاركة الفاعلة في العمل الاسلامي المشترك، سواء كان ذلك على نطاق الدول الاسلامية ام المنظمات الشعبية، والالتزام بقراراتها وتوصياتها التزاما كاملا مما يقدم دليلا اكيدا على ايمان العراق بالمنزلة المتميزة التي يحتلها العمل الاسلامي في الساحة الدولية.

الثاني ـ العمل الدؤوب على وحدة كلمة الاقطار العربية وتضامنها في كافة المجالات لايمانه بأن تضامن الامة العربية وعملها الموحد لايخدمان المصلحة العربية فحسب، بل يؤديان الى بناء قاعدة متينة يقوم عليها تضامن المسلمين في مشارق الارض ومغاربها، لما تحتله الامة العربية من ثقل سياسي واقتصادي في الساحة الدولية عموما والعامل الاسلامي خصوصا. فوحدة العمل العربي دعامة اساسية من دعامات وحدة العمل الاسلامي.

الثالث ـ الالتزام الكامل بمبادىء عدم التدخل المباشر او غير المباشر في الشؤون الداخلية للدول الاسلامية، والامتناع عن التحريض على بث الفرقة واشاعة الفتنة، وممارسة كل جهد لازالة الخلافات المذهبية والطائفية، وذلك عن طريق استلهام القيم الروحية النبيلة التي توحد المسلمين وتجعلهم يتعايشون على اساس العدل والمساواة والاحترام المتبادل لارادة شعوبهم وحل جميع المشاكل التي تعترضهم عن طريق الحوار الهادىء والمفاوضات البناءة مستلهمين في ذلك المبادىء الاسلامية السامية.

وقد ظهر مصداق ذلك في محاولات العراق المستمرة لمنع وقوع الحرب بينه وبين ايران في المدة التي سبقت قيامها، وعمله الدؤوب على ايقافها منذ اندلاعها وحل المشاكل المعلقة بالطرق

السلمية عن طريق الجلوس الى مائدة المفاوضات والاحتكام الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وقد عمل العراق كل ذلك، مع انه كان على علم تام منذ اول تسلم نظام الحكم الحالي السلطة في ايران انه قد وضع في حساباته المقبلة احتلال العراق ومحاولة اسقاط نظام الحكم فيه واقامة حكومة تابعة للنظام الايراني، فقد بدأ هذا النظام، منذ ايامه الاولى يطلق التصريحات الرسمية، ويهيء الرأي العام الايراني لهذا الامر، وارسل اعوانه الى داخل العراق للقيام باعمال الشغب والفتنة واحداث التفجيرات وقتل الابرياء ومحاولة اغتيال بعض المسؤولين العراقيين، مما عرض الامن الداخلي العراقي الى خطر حقيقي، كما ابدى هذا النظام عدم اعترافه باتفاقية الجزائر لسنة ١٩٧٥ ورفض اعادة الاراضي العراقية المتفق على ارجاعها على الرغم من تمتعه بما وفرته له الاتفاقية من حقوق في شط العرب، ومد يد العون مجددا للعملاء البارزانيين، واستقدمهم وهيأ لهم الاسباب للقيام باعمال التمرد والعصيان في شمال العراق، ثم بدأ يدق طبول الحرب، ويحشد القوات، ويقصف المخافر الحدودية والمدن التي تنالها مدفعيته، حتى بلغ به الامر ان قصف المدن العراقية من الاراضي العراقية التي كان قد اغتصبها... وقع كل ذلك والعراق يحاول جاهداً تفادي الصدام المسلح ويطيل النفس ويبعث بعشرات المذكرات الرسمية الى الحكومة الايرانية يذكر ويحذر من العواقب الوخيمة لمثل هذه التصرفات ويدعوها الى استعمال المنطق والحكمة وحفظ حق الجوار بين بلدين مسلمين كان من المفروض ان يكونا يدا واحدة على اعداء الاسلام ولكن كان نتيجة كل تلك المذكرات الاهمال المطلق، بل التمادي في

العـدوان فقد عمـد هـذا النـظام الى اعـلان النفـير العـام في ١٩٨٠/٩/٤ واغلق الاجواء واغلق شط العرب واغرق بعض السفن فيه، وقد تهيأ هذا النظام للقيام بهجوم شامل لاحتلال العراق، فلم يعد للعراق من بد غير استعمال حقه في الدفاع الشرعي عن اراضيه وابنائه وسيادته وكرامة امته.

ولاادل على حرص العراق الدائم على التضامن الاسلامي وتحقيق السلام، من اعلان الرئيس القائد صدام حسين بعد ستة ايام من شروعه في استعمال حقه في الدفاع عن امنه وسيادته عن رغبة العراق في السلام بضرورة الرجوع الى منطق العقل ودعوته النظام الايراني الى الـدخول في مفـاوضات مجـدية لحـل جميع القضايا المتنازع عليها بالطرق السلمية ونبذ الحرب، ثم استمر طوال سنوات الحرب يطالب بالسلام ويدعوا اليه ولم يترك محفلا دوليا او اقليميا الا وطالب فيه بالسلام ودعا إليه بكل قوة مع تفوقه وانتصاره الدائم في جميع المعارك العسكرية التي خاضها دفاعا عن عزته وشرف وطنه، فقبل بقرارات مجلس الامن في ٢٨ ايلول عام ١٩٨٠ و١٢ تموز ١٩٨٢ و٤ تشرين الاول/١٩٨٢ و٣١ تشرين الاول ١٩٨٣. وقراري مجلس الامن اللذين صدرا في ١٩٨٦ برقم ٥٨٢ و٥٨٨ ثم موافقته المطلقة على قرار مجلس الأمن الأخير المرقم ٥٩٨ المتخذ بالاجماع الدولي الكامل واعلن من جانبه وبشكـل انفرادي عن وقف اطـلاق النار من ٥ الى ٨/تشرين الاول/١٩٨٠ تلبية لطلب فخامة الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق الذي كان يقوم بمساع حميـدة بصفته رئيسـا للمؤتمر الاسلامي في ذلك الحين. وتعاون العراق بكل اخلاص مـع جميع الـوساطـات ولجان المسـاعي الحميدة وابـدى كافـة التسهيلات لها، وانتهز العديد من المناسبات الدينية المقدسـة

لتجديد الدعوة الى السلام والرغبة في ايقاف اطلاق النار فيها وسعى جاهدا لحقن الدماء من خلال تلك المبادرات، بينما كان النظام الايراني يرفض كل خطوة من خطوات السلام ويصر على تصعيد القتال وزج الحشود البشرية الكبيرة بقصد احتلال العراق واسقاط الحكم فيه، مع انه لم يكن من نهج سياسة العراق ابدا التدخل في شؤون ايران الداخلية او اسقاط نظام الحكم في طهران، بل كل الذي رجاه ويرجوه هو التعايش السلمي بين بلدين جارين مسلمين وفق المبادىء الاسلامية السمحة ومبادىء القانون الدولي واحترام السيادة وعدم التدخل في الشؤون االداخلية.

لقد مضى على هذه الحرب سبع سنوات وانه لما يدعو للغرابة حقا ان تكون طريق السلام وحقن الدماء الاسلامية البريئة واضحة لكل مسلم غيور ثم يتجنبها نظام الحكم في ايران ويصر على العدوان خلافا لكل القيم والمبادىء الاسلامية.. اليس المطلوب اذن وبعد كل هذا وقفة شجاعة يقفها المسلمون ضد من يصر على البغي والعدوان وهدر الدماء والطاقات الاسلامية التي كان ينبغي ان تدخر لمنازلة اعداء الاسلام.

بلى، ان كلا من العراق وايران يتهم الاخر ببدء العدوان والحرب.. وللعراق حججه وبراهينه وله ادلته حول الظروف والاسباب التي ادت الى نشوب الحرب وقد قدمها امام المؤتمر الاسلامي في الطائف مدعمة بالوثائق والادلة وقد ذكر بعضها قبل قليل....

ومع ذلك فان تقرير مثل هذه الامور لابد له من تحكيم محايد يقضي فيه.

وقد جنح العراق الى هذا التحكيم بل طالب به مرارا

وتكـرارا، فكتب الى الملك خالـد ـ رحمه الله ـ بصفتـه رئيسا للمؤتمر الاسلامي والى الرئيس احمد سيكوتوري ـ رحمه الله ـ بصفته رئيسا للجنة المساعي الحميدة الاسلامية، يطالبهما تحكيم المسلمـين في موضـوع من بدأ بـالعـدوان والحـرب وفي حـل الخلافات بين الدولتين المتحاربتين ولكن ايران رفضت تحكيم المسلمين.

واقترح العراق في مؤتمر قمة عدم الانحياز في نيودلهي تشكيل لجنـة للتحكيم تتولى مهمـة تحديـد مسؤولية الـطرف البادىء بالحرب وتحديد المسؤول عن استمرار النزاع المسلح طوال هذه المدة للخروج بنتائج عملية لايقاف الحـرب ومعاقبـة المعتدي الذي يرفض هذه النتائج، وقدم مجمـوعة مقتـرحات في هـذا الاتجاه لاتشكل اي انتقاص من كرامة وسيادة وحقوق اي طرف من طرفي النزاع.
ولكن ايران رفضت ذلك طبعا. .

واعلن العراق كذلك، على لسان وزير خارجيته السيد طارق عزيز في اجتماع الجمعية العامة لـلامم المتحدة في ٢٨/ايلول ١٩٨٣ عن اقتراح تأليف لجنة تحكيم تتولى التحقيق في اسباب الحرب وفي من بدأ العـدوان ومن يتحمل مسؤوليـة استمرار الحرب.

ان ايران ترفض فكـرة السلام اسـاسا وتصـر على الحـرب والعدوان على شعب مسلم قدم الكثير للاسلام والمسلمين. ثم جاءت دعوة علماء العراق للطائفة المتفقهة بالدين ورجال الفكر الاسلامي الذين هم اهل الحل والعقد واجتماعهم في المؤتمر الاسـلامي الشعبي ببغـداد في رجب سنـة ١٤٠٣ هـ نيسـان /١٩٨٣ لتكون من ابرز خطوات العمل الاسلامي الموحد تجاه

هذه الكارثة العظمى التي تهدد كيان المسلمين، وقد بلغ عدد المشاركين في هذا المؤتمر العظيم اكثر من ثلاثمائة شخصية قيادية اسلامية من مختلف المذاهب والاتجاهات توافدوا على بغداد من مختلف الاقطار والديار يسيطر عليهم روح اسلامي نقي سليم اتجه بهم الى العمل الجاد المؤدي الى التكاتف والتضامن ورص الصفوف ووحدة العمل لمجابهة هذه المحنة لما رأوه من الواجب على علماء المسلمين شرعا من الحث على العمل الصالح بالبدار الى التدخل الجاد لايقاف القتال بين المسلمين طاعة لله ونزولا عند وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع «ان اموالكم ودماءكم واعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا».

وكان من اعظم احداث المؤتمر اهمية في تاريخ العمل الاسلامي حضور السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله الى المؤتمر وتخويله المطلق الكامل مقدما بالموافقة على كل قرار يتخذه قادة العمل الاسلامي حينما قال: (اقول مسبقا باننا نوافق على كل قرار تتخذونه في هذا المؤتمر، ومن الان نعطي الموافقة من اعلى سلطة في الدولة مع الاعتذار لشعب العراق ولفقهاء القانون الدولي والعاملين في السياسة والقوانين اذ ربما ينتقدون صدام حسين ويقولون... كيف يجوز لرئيس دولة ان يعطي قرارا مسبقا بالموافقة على امر لم يقرأه ولم يعرفه؟ فأقول تعليقا على هذا بأن هذه الصفوة الخيرة التي جاءت من كل بطاح الارض من المسلمين اذا ما اجتمعوا على رأي فهو الرأي الصواب، وحتى لو كان لنا رأي اخر فلا نعتقد بأن رأينا اصوب من رأي كل هذه الجماعة).

فكان هذا التفويض الذي لم يشهد له التاريخ مثيلا منذ صدر

الاسلام حافزا عظيما لعلماء الاسلام لبذل الجهود المضاعفة والقيام بأجرأ الاقتراحات، فرغبوا بمشاركة علماء ايران بهذا الاجتماع الاسلامي الحاشد وقرروا في اليوم الثاني توجيه برقية عاجلة الى القيادة الايرانية يدعون فيها علماء ايران ا لى المشاركة في المؤتمر للبحث فيما ينتاب المسلمين من تمزق وفرقة وصلت بهم حد الاحتراب وسلموها الى القائم بالاعمال الايراني في بغداد ورجوا منه بذل جهده في تبليغها والسعي لدى حكومته لتلبية هذه الدعوة، ولكن ايران على عادتها رفضت هذه المبادرة الكريمة التي تقدم بها علماء الاسلام.

ومع كل هذا الموقف السلبي من جانب النظام الايراني استمر المؤتمر في نقاشاته الجادة وتوصل الى ان الحرب الدائرة رحاها بين ايران والعراق تغضب الله سبحانه وان استمرارها مخالف لشريعته القائمة على الاخوة الاسلامية الجامعة وهو يهدد بنزول اوخم العواقب على المسلمين جميعا، وان حلها الامثل انما يتم بالاحتكام الى كتاب الله تعالى في قوله ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين﴾ صدق الله العظيم

وتأسيسا على هذا التأصل الحيكم قرر المؤتمرون دعوة قيادتي ايران والعراق الى وقف القتال بينهما فورا والعودة الى حدودهما الدولية، كما قرروا تأليف لجنة سلام واصلاح ذات البين من كبار اعضاء المؤتمر تجتمع بقيادتي البلدين وتطلب منهما الجلوس للتفاوض المباشر للوصول الى حل سريع عادل ومشرف يحفظ حقوق الفريقين ويعيد الصفاء بينهما استنادا الى كتاب الله الحكيم وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وناشدوا القيادتين

الايرانية والعراقية التعاون مع اللجنة الموقرة والاستجابة لها وتقديم ماتحتاج اليه من تسهيلات تساعدها في اداء مهمتها الاصلاحية.

وحذر المؤتمرون في الوقت نفسه من ان اي فريق من الفريقين المتقاتلين لايستجيب للجنة ولايخضع لارادة المسلمين الجماعية ويصر على الاستمرار في الحرب يتوجه عليه حكم الله الذي انزله في كتابه العظيم بقوله سبحانه: **﴿فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله﴾** ويجب على المسلمين كافة مقاطعته سياسيا وثقافيا واقتصاديا.

ماذا كانت نتيجة كل تلك الجهود، وكيف كان تقدير القيادتين الايرانية والعراقية لارادة علماء الاسلام ومفكريه؟ وماذا كان موقفهما من التضامن الاسلامي وتحقيق السلام؟

لقد بادرت القيادة العراقية الى الاجتماع، واصدر مجلس قيادة الثورة قرارا بقبول قرارات المؤتمر، واعلن انه يعتبر اعلان قبولها لقرارات المؤتمر ايذانا بوقف اطلاق النار الفوري... واحست لجنة السلام واصلاح ذات البين بأنها قطعت معظم الطريق بل كل الطريق لانها حينما تتفاوض في امر السلام مع خميني لاتطلب منه رأيا شخصيا وانما تطلب منه النزول على حكم الشرع الاسلامي الشريف... ولكن جاء الرد الايراني ليصف ذلك المؤتمر العظيم الذي ضم النخبة الفاضلة من علماء الاسلام ومفكريه بأنه (مؤتمر الشياطين الفسقة) ورفض السماح للجنة بالذهاب الى ايران... واوصد ابوابه في وجه الدعوة الاسلامية، ورفض الجنوح للسلم بالرغم من جنوح العراق له، ورفض الحق وماذا بعد الحق الا الضلال!

وتأصيلا على ذلك قرر المؤتمر اعتبار رفض ايران للسلام

والنزول على حكم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بغيا منها على العراق الذي جنح للسلام دائما وهو امر يفرض على الامة الاسلامية شعوبها ودولها وافرادها وجماعاتها ان تقاتل البغاة وتقاطعهم في كل المجالات. وهو ما أقره رسميا المؤتمر الاسلامي الشعبي الثاني المعقود ببغداد سنة ١٩٨٥ حينما اجمع علماء الأمة من كل بقاع الارض على ان حكام ايران: بغاة ظالمون مفسدون في الأرض محاربون لله ولرسوله لا للعراق وحده، واطلق عليهم منذ ذلك الحين «الفئة الباغية» وطالب العالم أجمع مقاطعتهم سياسيا وعسكريا واقتصاديا وثقافيا.

لقد كان العراق ينتهز كل مناسبة ليجدد الدعوة الصادقة الى السلام ويعلن امام المحافل الاسلامية والهيئات الدولية نزوله على حكم المسلمين ومحبي السلام في العالم في هذه المسألة، وكان الجانب الاخر امعانا منه في العدوان يصر على تصعيد القتال وزج الحشود البشرية الكبيرة بقصد احتلال العراق وكسر شوكته واذلال شعبه وكانوا يصدون عن كل مبادرات السلام، بفرض شروط تعسفية لانهاء الحرب صارت سخرية السامعين في كل بقاع الدنيا لمجافاتها كل منطق سليم.

وهكذا تتبينون ايها الاخوة موقف العراق الواضح من التضامن الاسلامي ودعوته المستمرة الى السلام وحل مايعتري المسلمين من مشكلات عن طريق الحوار والمفاوضة والاحتكام الى شرعة الله، ومابذله ويبذله من جهود مستديمة لايقاف هذه الحرب التي فرضت عليه ومساعيه الجادة لدرء شرورها وان كل قتاله الضاري الذي تتبعون اخباره لم يكن غير دفاع عن النفس والعرض والارض وقيم الاسلام النبيلة، وما كان اغنى المسلمين عن التضحيات الجسيمة لولا اصرار المعتدي على عدوانه ورغبته

باستمرار الحرب وسفك الدماء.

وفي الوقت نفسه اصبح واضحا لكل ذي بصيرة اصرار النظام الايراني على العدوان والاستمرار بالحرب والاعلان في كل مناسبة عن هجوم مرتقب لاحتلال ارض العراق المسلم وكسر شوكته واذلال شعبه لايخفي ذلك بل يعيده ويبديه في كل مناسبة، على الرغم من مواقف العراق الواضحة والصريحة في الجنوح الى السلام استجابة لاوامر الله تعالى وحفظا لدماء المسلمين.

ان العالم الاسلامي بكل شعوبه وهيئاته وعلمائه ودوله مطالب اليوم بوقفة شجاعة واضحة لاتردد فيها تدين بكل شدة خروج النظام الايراني الحاكم على كتاب الله وعدم الالتزام باوامره ورفضه ايقاف نزيف الدم الاسلامي ودعوته المستمرة الى العدوان وانه مسؤول امام الله وامام المسلمين في كل بقاع الدنيا عن ازهاق عشرات الوف من الارواح وترميل النساء وتيتيم الاطفال وتشريد الاسر وهدر الاموال وتعطيل الطاقات الاسلامية التي كان ينبغي ان تدخر لمنازلة اعداء الاسلام.

كما ينبغي على كل مسلم غيور على دينه مقاطعته سياسيا وثقافيا واقتصاديا وفضح بغيه وعدوانه في كل المحافل. كما يستوجب على كل مسلم مكلف قتاله بعد ان اتضح لكل ذي بصيرة بغيه وعدوانه عملا مفروضا بقوله تعالى:

﴿فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله﴾

واستجابة الى اجماع علماء الاسلام.

ان العلماء الاعلام والمفكرين والكتّاب والهيئات الشعبية والدول الاسلامية مدعوة اليوم الى تحمل مسؤ وليتها التي فرضها الله سبحانه وتعالى عليهم واتخاذ المواقف الصلبة المسؤ ولة ودفع هذا المنكر العظيم عن المسلمين بشتى الوسائل والسبل.



السلام في الإسلام

الدكتور محمد شريف أحمد
عضو المجلس التنفيذي لمنظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، خص الانسان بأحسن تقويم، جمّل صورته، وميّز سيرته وهداه النجدين بما ركب فيه من عقل واودعه من بصيرة، وبعث الرسل والانبياء ليبلغوه امره وكلمته، ويرشدوه السبيل اليه».

والصلاة والسلام على خاتم انبيائه ورسله امام المتقين سيدنا محمد الذي ارسله الله رحمة للعالمين مثالا كاملا للانسان الكامل، واسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر، حاملا مشعل الحرية للقضاء على العبودية، ونور التوحيد لتبديد الشرك والوثنية، وفيض الايمان ليشرح الصدور بنوره، ورسالة العلم ليحرر العقل من قيوده، والعاطفة من نزواتها ورسالة السلام لتعليم البشرية دروس الحياة فما اعظمه وما اكمله!!

هز الانسانية المتعبة الكادحة بصوت رحيم يستقر في الضمير حين ذكر الانسان بالصلة الرابطة التي تعيده الى اب واحد وام واحدة بل وقطعة واحدة من تراب. قال سبحانه وتعالى: «ياايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا» «سورة النساء» ثم استحضر له صورة الاخرة يوم ينفخ في الصور ويصعق مافي السموات وما في الارض، يوم لاينفع مال

ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم.

واذا كان هذا هو المبدأ وذلك هو المعاد فالناس سواسية كاسنان المشط والانسان اخو الانسان احب ام كره.

اللهم انزل رحمتك على آله واصحابه الذين رفعوا الراية من بعده وعلى التابعين ومن سار في هدى محمد (ﷺ) الى يوم الدين.

اما بعد

فقد جرى عرف الكتّاب والباحثين قديما وحديثا على استهلال بحوثهم وكتبهم بمقدمة تجمل السبب والغرض الباعث، والموضوع والغاية وتلم بخطوطها العامة في خطة جامعة.

ومع ان الموضوعات المختارة للدراسة والمناقشة في هذا المبحث المهم لاتخرج عن اطار اهتمام العالم الاسلامي بشكل عام واذا متوجه في هذا البحث الى موضوع تعرّض للتشويه وسوء الفهم بقصد او بدونه عبر التاريخ الاسلامي، ويتعرض الان لابشع صورة من التشويه، وهو موضوع (السلام في الاسلام) وقد اخترته لاسباب اساس:

اولها:

ان السلام العالمي هو ضرورة لبقاء النوع الانساني في الوجود ولاستمراره في الحياة في خضم هذا التسابق المجنون لامتلاك الطاقات التي تكفي معشارها لتدمير الحياة في الارض وغلافها الجوي ولقلب عاليها الى سافلها بسلاح النجوم وسهام الاقمار، وان الحرب في هذا العصر تعني تدمير مابنته من حضارات، وتعذيب السلالة البشرية وتعريضها للفناء التام فهي انتحار رهيب، وغول مخيف.

ثانيها:

ان الاسلام هو دين الحياة والحياة لاتستقر الا بالسلام فالاسلام دين السلام وقد قام بالكلمة الطيبة، والدعوة الحكيمة والسلوك الانساني، والخلق الكريم «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن» ولم يلجأ الاسلام الى الحرب كدين الا للدفاع عن النفس. وهذا امر بديهي ذلك ان الدين يعتمد القناعة، وطمأنينة النفس واستقرار الوجدان وهي امور لاتتحقق بالاكراه والاجبار كما قال سبحانه وتعالى: «**لا اكراه في الدين**».

ثالثها:

ان العراق الذي اتشرف بالانتساب الى شعبه العريق في قيم الدين. وفي الاسهام الحضاري للمجتمع البشري يتعرض منذ سبع سنوات لحرب قاسية مستمرة دون مسوغ من عقل او منطق سوى الدجل الذي يردده الخمينيون القابضون على السلطة في ايران بان الاسلام هو دين السيف وانه دين الدماء. وبمقتضى هذه الخرافة والفرية يعتبرون عدوانهم على العراق واستمرارهم في تسعير اوار الحرب المسماة بالحرب العراقية-الايرانية جهادا في سبيل الله سبحانك هذا بهتان عظيم.

وانطلاقا من هذه الاسباب ابيّن موقف الاسلام اولا من السلام والحرب في ضوء الايات الكريمة والبراهين القاطعة ثم اضع امام القارىء الموقف الذي يتخذه الطرفان المتحاربان - العراق وايران فكرا وسلوكا تجاه الحرب والسلام.

واختتم بحثي بنداء الى المجتمعات الاسلامية، والمجتمع الانساني للعمل على افشاء السلام، والتنديد بمن يصر على الحرب والعدوان فاقول وبالله التوفيق.

المبحث الاول
موقف الاسلام من السلام والحرب

اولا ـ موقف الاسلام من السلام

ان اي موقف للاسلام في ميادين العقيدة والفكر، او في ميادين العمل الاجتماعي او الفردي لابد من تأصيله في ضوء القرآن الكريم، او السنة النبوية المطهرة ولايحسب على الموقف الاسلامي ما جرى باسم الاسلام او يجري في الحاضر والمستقبل مما يتناقض مع روح الشريعة الاسلامية، ويختلف عن المبادىء العامة والاسس الجوهرية لها مما دعته السياسة حينا، او قامت بفعل تآمر اليهودية والمجوسية على الاسلام.

وبعد توكيد هذه الحقيقة لابد من الاشارة الى حقيقة اخرى لاتقل اهمية عنها لفهم السياق الحقيقي لاتجاه الاسلام في حالتي السلم والحرب وهي: انه لابد من التمييز بين الموقف الثابت اساسا واصلا وبين الموقف المتغير للعوامل الطارئة ولابد من الاطلاع التام على ظروف المواقف الثابتة، والعوامل الطارئة، وسياق الآيات القرآنية التي حكمت هذه المواقف ولايجوز النظر في تفسيرها بمعزل عن السياقات القرآنية المدونة في بيان السلام والحرب ومنها بعض الايات الكريمة التي لاتعالج الموضوع مباشرة ولكنها تؤكد حقائق اساسية في طبيعة الدين وجوهره، فلابد من مراعاتها لتفسير تلك السياقات.

وقد آن الاوان لنصغي الى الآيات القرآنية التي تضع الاساس العقدي لفكرة السلام في المجتمع الاسلامي والبشري:

١ ـ قال سبحانه وتعالى

«لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

وجه الدلالة:

ان الدين هو في الحقيقة عقيدة وهو قناعة في الوجدان فلا يمكن فرضه بالاكراه.

ولما كان القتال لفرض الدين بصورة من صور الاكراه دلت الآية على نفي مشروعيته دون سبب آخر.

ومما يعضد هذه الحقيقة.

قوله تعالى: «فَذَكِّر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر».

ذلك انها تعني ان الاسلام هو دعوة الهية، وهداية فما على الداعية الا ان يبلغ كلمة ربه، ويؤدي امانة السماء ويدل الناس على الصراط المستقيم دون ان يكون له الحق في الوصاية والسيطرة والهيمنة.

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار الصالحين من الامة آيات وأحاديث ونماذج تقرر حقيقة الدعوة الاسلامية وطرقها واتجاهاتها واهدافها دون لبس او غموض ونذكر هذه الآية الحكيمة الجامعة لاصول الدعوة:

«ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن» النحل / الآية ١٢٥.

فلو كان للقتال محل لنشر الدعوة لاشار القرآن الكريم اليه في معرض الدعوة في هذه الآية او غيرها.

فهذه الآية الكريمة تضع اصول الدعوة وبالمصطلح المعاصر استراتيجية الدعوة المنسجمة مع طبيعة الدين الاسلامي ومع عالميته وخلوده كعقيدة وشريعة

اولاها، الحكمة وتعني توجيه العقل والبصيرة نحو المخلوق للاهتداء الى سبيل الخالق.

وثانيها، الموعظة الحسنة وتعني:

دعوة المشاعر والضمائر للتنبيه والتيقظ باستقراء الظواهر والاعتبار بتقلباتها.

وثالثها، الجدال الهادىء:

ويلجأ اليه الداعية في حالات الانكار والتحدي والجحود.

وقد خاض كثيرون في هذه الاصول فقال البعض ان كل اصل منها يقابل فئة من الناس فالحكمة لاصحاب البراهين والعقول الفلسفية والموعظة الحسنة لجماهير الناس والجدل للمعاندين.

ويقول البعض انها مراحل:

نبدأ المرحلة الاولى للدعوة الاسلامية بالحكمة والعقل والتبصير وهي مرحلة تنهض بالعقول، وتحثها على مواجهة الحقائق كما هي وتبدأ المرحلة الثانية بمخاطبة المشاعر والاحاسيس الذاتية للانسان في ضوء ما اهتدى اليه عقله وبصيرته.

وان وجد الداعي ريبة او انكاراً او جحودا في قلب الانسان الذي يدعوه الى سبيل ربه فعليه فتح حوار هادىء حكيم معه ويلجأ في ذلك الى الحكمة والموعظة ايضا في جداله معه لا الى السيف ليمزق صدره او البندقية ليحرق احشاءه ذلك ان الاسلام انما هو دعوة الى الايمان بالله الواحد الخالق ورسالة مكملة للشرائع السابقة.

ولم يختلف الرسول (ﷺ) مع اهل الكتاب الا حيث كان تنزيه الخالق موضوع شك، وقد كان كثير التسامح معهم رفيع الادب في مجاملتهم يقول القرآن الكريم:

«ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن».

٢ ـ قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين» البقرة / ٢٠٨.

وجه الدلالة:

ان الاية دعوة صريحة الى تعميق الرغبة في السلام، وترسيخ قيمه في الضمير والى نبذ الحرب بعبارة بلغت الغاية القصوى في قوة الدلالة، وهز الوجدان، والنفرة من الحرب.

ومما يفهم في نسق الاية المعجز ان الايمان يقتضي دخول المجتمع في دار السلام ويناسب شعار السلام العام، ويعني الابتعاد عن طريق الشيطان وهو الحرب.

ولاهمية استذكار الموقف الايماني ومتطلباته في حالات الصراع ينبهنا القرآن الكريم الى الحذر من العدو وهو الشيطان الذي يحث على الفتن، وتأجيج الحروب والثارات.

ومما يقوى هذا الوجه من الدلالة ماورد في كتب المفسرين ان هذه الاية تشير الى ما خامر نفوس جمهور المسلمين من كراهية صلح الحديبية كما ورد على لسان بعض الصحابة بعد اقرار الرسول الكريم لمبدأ الصلح مع المشركين في الحديبية، (السنا على الحق وعدونا على الباطل فَلِمَ نعطي الدّنية في ديننا).

واني ارى في ضوء سياق الآية، وتعبيرها المعجز البليغ، ودلالاتها الضمنية ان العاقل المتبصر العارف باسرار اللغة وحكمها لايشك في ان الآية الكريمة تقرر قاعدة اساسية للمجتمع المؤمن المسلم لايجوز الخروج عليها الا في حالات الضرورة القصوى التي تتطلب الدفاع عن وجوده وحريته.

اما الذين يلجأون الى تغليب قاعدة القتال في الاسلام استنادا الى آيات القتال العديدة فهم يغفلون القاعدة الاساس، ولايبحثون عن السياقات الخاصة للظروف التي نزلت فيها تلك الآيات.

٣ - قال تعالى:

«وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله» الانفال / ٦١، ٦٢.

وجه الدلالة:

ان هذه الاية الكريمة تلزم المسلمين الجنوح للسلام دون قيد او شرط اذا جنح الاعداء ومالوا الى السلام وقد بلغت الغاية في توكيد هذه الوصية والالتزام بها دون قيد او شرط في قوله تعالى «وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله» ان من المعلوم ان الحرب خدعة اساساً، وان على المحارب ان يحسب حساب السلام الخادع الذي يفرضه التكتيك المرحلي، ولكن التوجيه الرباني القرآني يؤكد حرمة السلام والجنوح اليه حتى في الحالة التي يظن ان العدو قد مال الى السلام خدعة وتكتيكا لا حقيقة وواقعا.

ولا ريب في ان الحرب في الاسلام ليست غرضا مقصودا لذاتها بل لايجوز ان تستمر الا في حالات الدفاع الشرعي عن النفس وبالقدر الضروري لدفع الاخطار والفتن.

٤ - ان التشريع القرآني الجامع للعقيدة الروحية، والتزكية النفسية والتهذيب الاجتماعي، وتدبير الامم والسياسات يهدف الى اشاعة السلام في الفرد والجماعة والسلام هو شعار المؤمنين وهو تحية المصلين «تحيتهم يوم يلقونه سلام».

اما السيرة النبوية المعطرة فهي سيرة تمثلت قيم القرآن الكريم واخلاقه فكان (ﷺ) كما يروى عن عائشة رضي الله عنها خلقه القرآن: فهو الرحمة المهداة للبشرية «وما ارسلناك الا رحمة للعالمين» «وانك لعلى خلق عظيم» . فهو كان رؤوفا

رحيما بلغ الغاية في الانسانية الرحيمة مع الانسان بل بلغ الغاية في الرفق بالحيوان. وفي السيرة نماذج وامثلة عددية تشهد بسموسيرته ودعوته الى السلام والعدل والحكمة. ويكفي مثالا على ذلك موقفه مع اشد خصومه حين فتح مكة اذ قال لهم: ماذا تظنون اني فاعل بكم؟ قالوا؛ خيرا، اخ كريم وابن اخ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ومع كل مالاقاه من عنت المشركين في مكة كان يكرر الدعاء: اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون. ومما حفظته السنة النبوية انه كان يقول لصحابته الكرام **«لاتتمنوا لقاء العدو واذا لقيتموهم فاصبروا»** وان سيرة الرسول (ﷺ) مع اهل الاديان جميعا سيرة كلها رفق واحسان وعدل لان دينه لاينظر الى غيره من الاديان الا هذه النظرة الجامعة. وقد وضع اساسا صالحا عادلا يحدد موقفه من اهلها جميعاً: قال: **«فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم»**.

وكان من بينات عطفه ان اصهر الى النصارى فتزوج من قبطية اسمها مارية كانت ام المؤمنين وام ولده ابراهيم كما تزوج من صفية وهي يهودية ولم تفته فرصة دون ان يوصي باهل الكتاب خيراً.

وفتح المسلمون البلاد التي كانوا يقطنونها فما اطاحوا بحقوق احد منهم وكان من اصول السياسة الاسلامية المساواة المطلقة بين المسلم وغيره حتى في بيت مال المسلمين فهو ليس بمقصور على معاونة المسلم وحده بل يشرك فيه غير المسلم بلا قيد ولا شرط. وفي قصاص عمر بن الخطاب من ابنه لاجل حق امرأة مسيحية قبطية، اكبر الشواهد على العدالة الاسلامية وفي قوله:

«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً» كل مقاصد الاسلام من الحرية والاخاء والمساواة[1] لقد بهرت هذه الملكة الفاضلة، والخصائص المحمدية المتميزة بالصدق واليقين والامانة كثيراً من المنصفين من غير المسلمين.

ويعبر عن ذلك الشاعر الروسي العالمي تولستوي بقوله (لاريب ان هذا النبي (اي محمدا ص) من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا البيئة خدمة جليلة ويكفيه فخراً انه هدى امته برمتها الى نور الحق وجعلها تجنح الى السلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا.

ويكفيه فخراً انه فتح طريق الرقي والتقدم وهذا عمل عظيم لايفوز به الا شخص اوتي قوة وحكمة وعلما، ورجل مثله جدير بالاجلال والاحترام).

ولقد كانت آراء هذا الفيلسوف الروسي موضع تقدير الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فكتب لهذا الفيلسوف يقول:

ايها الحكيم الجليل مسيوتولستوي. لم نحظ بمعرفة شخصك ولكنا لم نحرم التعارف مع روحك.

سطع علينا نور من افكارك واشرقت في افاقنا شموس من آرائك. هداك الله الى معرفة سر الفطرة التي فطر الناس عليها ووفقك الى الغاية التي هدى البشر اليها..

ثانيا - موقف الاسلام من الحرب

تبين مما سبق ان الاسلام هو دين السلام وان وسيلة دعوته الاساس هي الحكمة والعقل والدعوة الهادئة، ولكن الاسلام لايتناقض مع سنن الحياة، ولايتجاهل النوازع الراسخة من المسيرة البشرية بل يعدل مساراتها باتجاه الاصلح لها.

ومن المؤسف ان الحرب لازمت مسيرة الانسان ولم تنفك

عنها لعوامل شتى فقد قتل ابن لآدم وهو ابو البشرية اخا له «فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين» المائدة الآية ٣٠.

وظلت الحرب شبحا رهيباً يهدد الحضارات والدول والمجتمعات والافراد، رغم دعوة الرسالات السماوية والحكماء والمصلحين وتنبه عقلاء الامم لخطورة الحرب.

واستجابة لهذه الحقيقة دعا الاسلام رغم موقفه المبدئي والاستراتيجي في السلام - الى اعداد مستلزمات القوة ولكن لمواجهة الاشرار المعتدين.

وبعبارة اخرى ان للاسلام موقفاً استثنائيا من الحرب ولكنه موقف يدعو الى الاستنفار التام بامتلاك عناصر القوة والمجابهة في كل وقت وزمان.

لقد نزلت آيات عديدة في الحرب. ولايتسع هذا المقام لدراسة تحليلية شاملة لما يعبر عنه موقف كل آية. ويكفي ان نبين ان الاصل في العلاقات بين المسلمين ومخالفيهم في الدين هو السلام كما دلت عليه المواقف القرآنية المشار اليها آنفا وبدليل قوله تعالى «لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين». (سورة المتحنة الاية ٨٠).

ولكن الاسلام اقر الحرب اذا كانت الوسيلة الوحيدة للدفاع بدليل قوله تعالى «أُذِنَ للذين يقاتلون بانهم ظُلِموا» (سورة الحج الاية ٣٩).

وبدليل قوله تعالى «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا» سورة البقرة ١٩٠

ونكتفي بهذا القدر اعتمادا على ما سبق بيانه.

المبحث الثاني
موقف الطرفين المتحاربين ـ العراق وايران ـ في ميزان العدل الاسلامي

لقد عرفنا المعيار المعتبر في ميزان العدل الاسلامي وهو نفس المعيار الذي تدركه البصيرة الواعية، والفطرة السليمة والعقول المتمدنة ويدعو له الفكر السليم، والرأي الانساني الحصيف، ويقره ميثاق الامم المتحدة، ودساتير الدول وهو معيار السلام.
وللعلاقة بين المسلمين معيار خاص هو الاخوة «انما المؤمنون اخوة» صدق الله العظيم.

فما هو موقف العراق في علاقته مع ايران في ضوء المعيارين العام والخاص؟ وما هو موقف ايران في علاقتها مع العراق في ضوء المعيارين العام والخاص؟
هذا ما سنوجزه ان شاء الله ـ

اولا ـ موقف العراق في علاقته مع ايران.

قَدَّر العراق دوماً اهمية العلاقة الطيبة الودية مع ايران لاسباب عديدة منها:

١ ـ ان للعراق حدوداً مشتركة مع ايران تمتد اكثر من الف ومائة كليو متر وهي اطول خط حدودي يربط العراق بجوار بلد آخر. ومعلوم انه كلما امتدت الحدود المشتركة، وتوسعت المناطق الجغرافية للجوار، اشتدت الحاجة الى تمتين وترسيخ العلاقة السياسية بين البلدين المتجاورين، هذا لتحقيق الامن الاجتماعي في البلد، والحيلولة دون تدخلات مريبة في الطرفين.

٢ ـ للعراق علاقات تاريخية مع ايران اساسها الدين الاسلامي الحنيف والثقافة الاسلامية، اذ من المعلوم ان الايرانيين اعتنقوا الدين الاسلامي بعد معركة القادسية، وسقوط الامبراطورية الكسروية. ومن خلال تتلمذ الايرانيين المسلمين في مدارس العراق العلمية والثقافية والروحية (مدارس البصرة والكوفة وبغداد) استطاعوا تمثل الثقافة العربية والاسهام في اغناء الحضارة الاسلامية وكان العراق قبلتهم في ميادين العلوم والمعارف كما كان مصدر الهامهم الروحي والعلمي والادبي في كثير من نتاجات الايرانيين الذين اخلصوا في اسلامهم، ونزعوا من قلوبهم الاغلال التي كبلت كثيرين من احفاد كسرى ورستم من اجيالهم.

٣ ـ ان العراق الناهض الجديد الذي يسير في ضوء العقل الحصيف والحكمة الهادئة، ويستلهم امجاد ماضيه الحضارة، ويتطلع الى الركب المتصاعد في ذرى الحضارة المعاصرة في تحقيق العدل الاجتماعي لمجتمعه، ولا يعقل ان يسلك طريقا آخر غير طريق السلام مع دولة جارة لها خطورة كخطورة ايران.

ومن ثم درج العراق في سياساته مع ايران وتعارف على مبدأ حسن الجوار واتخذ في ضوئه صيغ التعامل الاخوي مع ايران وكالاتي:

١ ـ التزم العراق دوما بالمعاهدات والمواثيق العديدة المبرمة بين الدولتين منذ المئات والعشرات من السنين ولم يبادر العراق يوما ما الى نقض معاهدة او ميثاق.

٢ ـ لقد فتح العراق دوما الباب على مصراعيه لاستضافة الزائرين الايرانيين، وقدم التسهيلات الخاصة لزيارة

العتبات المقدسة حتى ان المدن المقدسة كالنجف وكربلاء كانت تعج دوما بالايرانيين من طلاب العلوم او من الزائرين والمقيمين.

٣ ـ لم يتدخل العراق يوما في شؤون ايران الداخلية رغم المشاكل العديدة التي كان الايرانيون يثيرونها لتعويق تقدم العراق.

وعندما قامت ثورتهم ضد الشاه بادر العراق الى الترحيب بها وطلب من الحكام الجدد فتح صفحة جديدة من العلاقات الودية وغلق الملف الاسود الذي فتحه الشاه بتدخلاته السافرة في شؤون العراق الداخلية وعمالته للاستعمار ومحاولات هيمنته على الخليج العربي كشرطي للاستعمار العالمي.

ثانيا ـ موقف ايران في علاقتها مع العراق:

أ ـ موقف ايران قبل ثورة الشعوب الايرانية على الشاه:
مما يؤسف له ان حكام ايران السابقين واللاحقين توارثوا عقدة الطمع في العراق وقد عبروا عن احقادهم وعقدهم واطماعهم بصيغ مختلفة منها:

١ ـ توالت محاولات لهم عديدة في احتلال العراق وان محاولة الصفويين ليست ببعيدة عن الاذهان.

٢ ـ لم يلتزموا بالمعاهدات والمواثيق المبرمة بين البلدين بل درجوا على انتهاك المواثيق، والمعاهدات والاتفاقات الثنائية بين البلدين وان الغاء الشاه لمعاهدة (١٩٣٧) الحدودية ليس ببعيد عن الاذهان ايضا.

٣ ـ كان تاريخ العلاقات بين الدولتين عبارة عن يد سوداء تمتد من ايران للنيل من العراق، وان ملف العلاقات

العراقية الايرانية شاهد عيان على سلسلة مزعجة من تدخلات ايران السافرة في شؤون العراق الداخلية.

ب ـ موقف ايران بعد هيمنة رجال الدين على الحكم في ايران.

١ ـ مع ان العراق بادر الى الترحيب بالتغيير الجديد في ايران على لسان قائده السيد الرئيس صدام حسين، فان المسؤولين من حكام ايران الجدد تسابقوا في اطلاق تصريحات تعبر دون حياء او خجل عن عزمهم على تصدير ثورتهم وما انفكت المدن العراقية تعيش في احلامهم.

٢ ـ لم يعيروا اي وزن للمواثيق التي تنظم العلاقة بين البلدين وكأنهم محكومون بشريعة الغاب دون شريعة القرآن والعقل حتى ان العديد من مسؤوليهم استهانوا بميثاق الجزائر، واعلنوا بطلانه كأي تراث للشاه.

٣ ـ حرضوا عملاءهم في العراق للقيام بتمرد ضد الحكومة وقد نفذوا فعلا عمليات ارهابية دموية، وتفجيرات داخل بغداد / العاصمة. وقد نبههم العراق بعشرات المذكرات الرسمية الى خطورة العواقب الوخيمة لتصرفاتهم ودعاهم الى استعمال المنطق والحكمة وحفظ حق الجوار بين البلدين المسلمين ولكنهم تمادوا في العدوان حتى عمدوا الى اعلان النفير العام في ١٩٨٠/٩/٤ واغلقوا الاجواء، وشط العرب، واغرقوا بعض السفن واتخذوا اعمالا حربية بالعرف العسكري فقصفت طائراتهم الحربية المدن الحدودية، وتهيأوا للقيام بهجوم شامل لاحتلال العراق وفي هذه الحال لم يكن للعراق سبيل آخر غير الدفاع

الشريف عن ارضه الطاهرة، وسيادته وكرامة امته وتأريخه
الطويل المشرق في الدين والحضارة والانسانية.
وهكذا وقعت الواقعة

ثالثا ـ موقف البلدين المتحاربين من الحرب والسلام

مما لايختلف فيه اثنان بصيران ان هذه الحرب المدمرة القاسية التي وقودها الناس وحضارة البلدين هي حرب عقيمة مضرة وهي حرب تنفع الصهاينة والامبريالية وحدهم، وتؤذي المسلمين وتبدد اقتصاد البلدين، وتفني شباب الدولتين المتجاورتين وقد ادرك العراق خطورة ما يحدث فأعلن بعد ستة ايام فقط من احتدام المعارك التي فرضت على العراق ـ على لسان القائد الرئيس صدام حسين استعداد العراق للصلح مع ايران ودعا الى منطق العقل ولما تزل الحرب على الحدود وحولها. فرفضت ايران عروض السلام وقد مرت الان سبع سنوات على تلك الايام الستة ومازالت الدماء تسفك دون وجه حق بفعل التعنت الايراني وتمسك نظام خميني باحلامه في احتلال العراق والحاقه ضيعة تابعة لايران وهذا ما يستعد العراقيون لفداء مهجهم وارواحهم دون تحقيق ذلك بعون الله سبحانه.

رابعا ـ موقف المؤتمرات والهيئات الاسلامية والدولية والشخصيات الاسلامية من هذه الحرب واستمرارها.

١ ـ من المعلوم أن المجتمع الدولي لم يستسغ هذه الحرب وبادر الى محاولات عديدة لاحتوائها، واعادة المياه الى مجاريها وفي الايام الاولى للحرب اجتمع مجلس الامن الدولي واعلن

توصياته وقراراته بشأن انهاء هذه الحرب ووقف اطلاق النار بتاريخ ٢٨/ ايلول / ١٩٨٠ فرحب به العراق ورفضته ايران رفضا باتا.

فتوالت اهتمامات مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة بوقف الحرب ولكن دون جدوى بسبب اصطدامها بالتعنت الايراني.

٢ ـ اسهمت حركة عدم الانحياز بدور نشط ايضا في محاولاتها الموسمية لايجاد حل للنزاع الدامي بين البلدين.

وكانت في كل مرة تلقى استجابة من لدن العراق وقيادته واستنكارا واستهانة من النظام الايراني. ولابد ان نقرر حقيقة لانشك فيها هي ان هاتين المنظمتين انحصرت جهودهما في المواسم الخاصة فقط.

وكان هذا احد الاسباب لاستمرار التعنت الايراني.

٣ ـ تطلع العالم كله والعالم الاسلامي بشكل خاص الى منظمة المؤتمر الاسلامي وهي المنظمة الاقليمية التي تنظم العلاقة السياسية وغيرها بين الدول الاسلامية ومنها العراق وايران.

وبمقتضى ميثاق هذه المنظمة، وبموجب قواعد الاخوة الاسلامية التي تجمع ابناء الشعبين العراقي والايراني كان على المنظمة حشد امكاناتها لترتيب الصلح بين الدولتين المسلمتين.

ومن اهم واخطر محاولاتها الناجحة عقد مؤتمر القمة لملوك ورؤساء الدول الاسلامية في مكة والطائف وسمي مؤتمر القمة الثالث في اوائل عام ١٩٨١ اي بعد شهور قليلة من احتدام النزاع.

حضره السيد الرئيس صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية والقى فيه خطابا جامعا ضمنه الاسباب التي فرضت القتال على العراق، ورغبة العراق في السلام، وخوّل الرؤساء اي اجراء يتخذ للصلح واللام ضمن مقاييس المواثيق الدولية والاعراف الانسانية، والمبادىء الاسلامية ولكن الجانب الايراني رفض حضور المؤتمر اساسا.

وانبثق من هذا المؤتمر لجنة سميت بلجنة المساعي الحميدة ضمت رؤساء دول اسلامية ومسؤولين كباراً من دول اسلامية اخرى.

نشطت هذه اللجنة في ايامها الاولى وتلقت الاستجابة والتعاون من الجانب العراقي، وتلقت الاهانة غير اللائقة والاستخفاف والتجاهل من الجانب الايراني.

فبقيت اللجنة اخيراً اسماً دون مسمى.

ثم عقد الرؤساء والملوك مؤتمرهم الرابع في الدار البيضاء فوجدوا بعد اربع سنوات تقريبا ان المشكلة مازالت كما هي بل تعقدت بشكل مخيف.

ولاول مرة يظهر بصيص من الحق حين اعلن المؤتمر ارتياحه للموقف العراقي الثابت في التعاون من اجل وقف الحرب واشار الى عدم ارتياحه لموقف الرفض الايراني.

ومن خلال هذه الفترات توالت اجتماعات لوزراء الخارجية للدول الاسلامية حينا، وللدول العربية حينا، ولجهات دولية تسعى للسلام ولكن دون نتيجة.

كلما زاد الضغط الاسلامي او الدولي لتعبئة الاتجاه السلمي، اشتدت هستيريا الحرب في ادمغة حكام ايران، فدفعوا حشودهم البشرية المكثفة لهجوم تلو هجوم على العراق

دون مراعاة الرحمة الانسانية والشفقة بشيوخهم واطفالهم وشبابهم غير المدربين الذين يدفعون الى اتون الحرب مع كل هجمة عسكرية شرسة.

ولسنا بصدد تفصيل كل هذه الاجتماعات والمؤتمرات ذلك ان من الواضح لدى الرأي العام العالمي ان العراق مستجيب للسلام وان ايران رافضة له.

ونشير بعد ذلك الى بعض المؤتمرات الاسلامية التي اطلقت صيحات الحق لوقف الحرب.

اولا ـ المؤتمر الاسلامي الشعبي الاول في بغداد في رجب ١٤٠٣ هـ نيسان ١٩٨٣ م.

توافد على بغداد اكثر من ثلاثمائة شخصية اسلامية من مختلف المذاهب والاتجاهات لعقد مؤتمرهم الشعبي الاول بغية حل سلمي لايقاف القتال.

وفي الخطاب الذي القاه الرئيس صدام حسين امام علماء الدين اعلن سيادته انه (يوافق مسبقا على اي قرر يتخذه علماء الاسلام لحقن الدماء وللصلح بين البلدين).

فكان هذا التفويض الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً حافزاً عظيما لعلماء المسلمين لبذل جهود نشطة محايدة صادقة:

وقد هيأت لهم الحكومة العراقية وسائل الاتصال بالقيادة الايرانية من خلال القنصلية الايرانية التي لاتزال موجودة في بغداد فألف المؤتمر لجنة سلام واصلاح ذات البين من كبار اعضاء المؤتمر تجتمع بقيادتي البلدين وتطلب منهما الجلوس للتفاوض المباشر للوصول الى حل سريع عادل ومشرف يحفظ حقوق الطرفين ويعيد الصفاء بينهما استنادا الى كتاب الله

الحكيم وسنة نبيه الكريم (ﷺ) وحذر المؤتمرون في الوقت نفسه من ان اي فريق من الفريقين المتقاتلين لايخضع لارادة الاسلام في السلام ويصر على الاستمرار في الحرب يعتبر باغيا في نظر الشريعة الاسلامية بدليل قوله تعالى «**فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله**».

واتصلت القنصلية الايرانية بالقيادة الايرانية في طهران وابلغتها برغبة علماء المسلمين في المؤتمر لزيارة طهران، او ارسال وفد من علماء ايران للمؤتمر فسدّت القيادة الايرانية الابواب بوجه العلماء واعلنت رفضها التام للسلام مستهينة باقدار العلماء الافذاذ الذين شاركوا في المؤتمر.

٢ ـ المؤتمر الاسلامي الشعبي الثاني المعقود في نيسان سنة ١٩٨٥ ـ توسع المؤتمر وانضم اليه شخصيات اخرى مهمة من العالم الاسلامي وبعد اطلاعه على المواقف الايرانية المتعنتة قرر حكمه الشرعي بان الجانب الايراني الذي يرفض الصلح يعتبر باغيا بنظر الشرع وعلى المسلمين مقاطعته سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

وقد انبثق عن هذا المؤتمر مجلس تنفيذي دائم له يمثل معظم اقطار الدول الاسلامية وله امانة عامة مقرها في بغداد، يمارس اختصاصاته في الدعوة الى السلام، وتعبئة الرأي العام ضد الطرف الذي يصر على العدوان.

٣ ـ المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الاسلامية المعقود في القاهرة تحت رعاية الازهر الشريف/ صفر ١٤٠٦ هـ تشرين الاول / ١٩٨٥ م.

لما كان الازهر الشريف حصناً حصينا لحماية العقيدة الاسلامية وسورا منيعا يحمي الفكر الاسلامي من الدجالين والمفترين والمشعوذين، اشرأبت الا عناق اليه ليقول كلمته الصريحة الواضحة في بث الارهاب والفتن الدموية في المجتمعات الاسلامية وفي استمرار الحرب العراقية ـ الايرانية.

وكان هذا المؤتمر مناسبة جليلة للتعبير عن موقف الازهر في هذه المأساة الدموية.

والحقيقة ان الامام الاكبر شيخ الازهر الشريف الشيخ جاد الحق علي جاد الحق كان دائب العمل لحقن الدماء، ورأب الصدع الا ان الموقف الايراني الرافض للاستماع الى صوت الحق حال دون تمكن الازهر الشريف من المضي في تحقيق مسعاه الخير.

وبعد ان توضحت الحقيقة امامه بشكل لاغبار عليه اعلن الازهر في مؤتمره المشار اليه الذي ضم علماء الازهر وكبار علماء المسلمين في العالم كله ان العراق ادى ما عليه من الاستجابة للسلام وان على الجانب الايراني الكف عن مواصلة الحرب ضد العراق. وحمل الازهر الشريف منظمة المؤتمر الاسلامي والعالم الاسلامي كله مسؤولية العمل لغرض الصلح بين الطرفين.

٤ ـ المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية في اسلام آباد/كانون الاول ـ ١٩٨٥ ـ

لقد ضم هذا المؤتمر العالمي ايضا كبار علماء المسلمين ولاسيما علماء الهند وباكستان وعلماء الاسلام في الاتحاد السوفياتي والمفكرين الاسلاميين العالميين.

وتعبيراً عن قناعتهم الوجدانية بصدق الموقف العراقي من

موقع القوة والاقتدار اعرب المؤتمر عن ارتياحه لموقف العراق المستجيب للسلام، وعن اشمئزاز الحرب التي عطلت طاقات البلدين.

٥ ـ عدة مؤتمرات ولقاءات دولية، متواصلة اجمعت على ضرورة وقف الحرب، وعلى الاقتناع بان العراق يستجيب للضمير الانساني، وبأن المسؤولية تقع على الجانب الايراني الذي يرفض دون مبرر معقول وقف الحرب، وحقن الدماء.

فأي الفريقين أهدى؟

افيدونا، افادكم الله برحمته.

(خاتمة)

لقد تبين موقف الاسلام من السلام، واثر السلام في ترسيخ قيم المحبة والاخوة بين المسلمين خصوصا وبين بني آدم عموما وتقع على المسلمين مجتمعات ودولاً وارادا مسؤولية الحفاظ على هذا الموقف وما يترتب عليه. وان علماء المسلمين يتحملون مسئولية اكبر في بيان هذا الموقف والدعوة اليه.

كما تبين مدى حرص العراق ورغبته في حقن الدماء رغم قدرته الاكيدة بعون الله على مقاتلة المعتدين مهما طالت الايام.

فهل يبقى المسلمون ومحبو السلام من بني البشر بين متألم ساكت، وبين مندد بالحرب بالقول لا بالفعل؟

انكم مطالبون ـ ايها العلماء ـ بتوكيد قيم السلام والتنديد بمن يصر على الحرب وسفك الدماء، والعمل الايجابي لفرض السلام.

الفهرس

طبع الدار العربية - بغداد